www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أهل البيت

سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم

تأليف
سماحة آية الله العظمى
الشيخ جعفر السبحاني

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

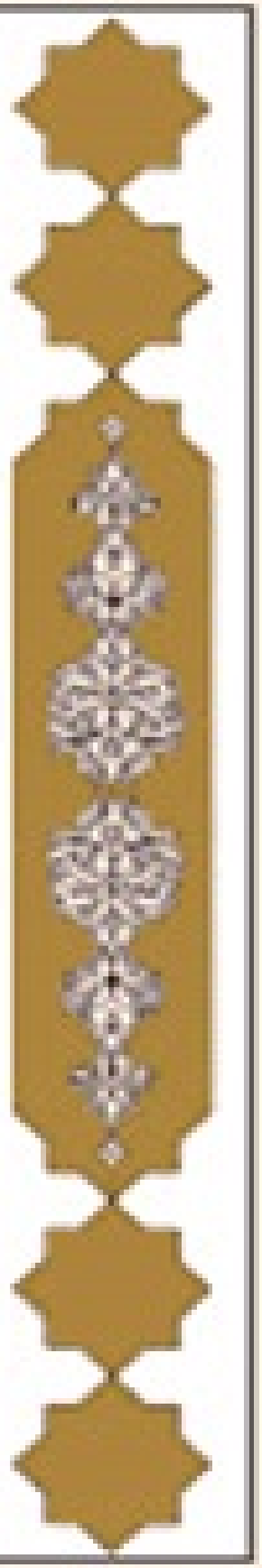

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل البيت سماتهم و حقوقهم فى القرآن الكريم

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه امام صادق (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اهل البیت سماتهم و حقوقهم فی القرآن الکریم ----- ۸
اشارة ----- ۸
المقدمة ----- ۸
اهل البیت سماتهم و حقوقهم ----- ۸
من هم أهل البیت ----- ۹
اشاره ----- ۹
اهل البیت لغة وعرفا ----- ۹
اهل البیت فی الآیة المبارکة ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
اللام فی اهل البیت للعهد ----- ۱۱
تذکیر الضمائر ----- ۱۲
الارادة تکوینیة لا تشریعیة ----- ۱۲
اهل البیت فی کلام النبی الاکرم ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
التصریح بأسمائهم ----- ۱۳
ادخالهم تحت الکساء ----- ۱۴
تعیینهم بتلاوة الآیة علی بابهم ----- ۱۵
اشاره ----- ۱۵
نزولها فی نسائه ----- ۱۷
و اما عکرمة ----- ۱۸
عروة بن الزبیر ----- ۱۹
مقاتل بن سلیمان ----- ۱۹

مشکلة السیاق؟ ----- ۲۰
ما هو السر فی جعلها جزءا من آیة اخری ----- ۲۲
نظریات اخری فی تفسیر اهل البیت ----- ۲۳
اهل البیت فی الادب العربی ----- ۲۴
الشیعة و آیة التطهیر ----- ۲۶
سمات أهل البیت ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
العصمة ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
ما هو المراد من الرجس؟ ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
المنفی مطلق الرجس ----- ۲۸
هل الارادة فی الآیة تکوینیة أم تشریعیة؟ ----- ۲۸
اشاره ----- ۲۸
اسئلة و اجوبة ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
هل الارادة التشریعیة تتعلق بفعل الغیر؟ ----- ۳۰
هل الارادة التکوینیة توجب سلب الاختیار؟ ----- ۳۱
هل العصمة الموهوبة مفخرة؟ ----- ۳۳
هل الآیة تدل علی فعلیة التطهیر؟ ----- ۳۳
هل الاذهاب یستلزم الثبوت؟ ----- ۳۴
المحبة فی قلوب المومنین ----- ۳۴
استجابة دعائهم ----- ۳۵
ابتغاء مرضاة الله تعالی ----- ۳۶

الایثار ----- ۳۷
هم خیر البریة ----- ۳۸
اهل البیت ورثة الکتاب ----- ۳۹
حرمة الصدقة علیهم ----- ۴۱
حقوق اهل البیت فی القرآن الکریم ----- ۴۱
اشاره ----- ۴۱
ولایة اهل البیت ----- ۴۱
اهل البیت و ضرورة اطاعتهم ----- ۴۳
وجوب مودتهم و حبهم ----- ۴۵
الصلوات علیهم ----- ۴۸
دفع الخمس الیهم ----- ۵۰
الفیء لاهل البیت ----- ۵۱
الانفال لاهل البیت ----- ۵۲
ترفیع بیوتهم ----- ۵۳
اهل البیت فی کلام الامام علی ----- ۵۴
پاورقی ----- ۵۴
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۵۷

اهل البیت سماتهم و حقوقهم فی القرآن الکریم

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸ عنوان و نام پدیدآور : اهل البیت سماتهم و حقوقهم فی القرآن الکریم تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق ع ، ۱۴۲۰ق = ۱۳۷۸. مشخصات ظاهری : ص ۱۸۳ شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۷۹-۷ ؛ ۹۶۴-۶۲۴۳-۷۹-۷ وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : چاپ دوم ۱۴۲۵ق = ۱۳۸۳ یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : خاندان نبوت موضوع : خاندان نبوت -- عصمت موضوع : خاندان نبوت -- جنبه‌های قرآنی شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع رده بندی کنگره : BP۳۶/س۱۵الف۸۷ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵ شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۲۲۴۴۵

المقدمة

الحمد للّه باریَ النسم، وسابغ النعم، والصلاة والسلام علی أفضل خلیقته،وأشرف بریّته، أبی القاسم محمد، وعلی آله الذین أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً. أمّا بعد؛ لقد حاز أهل البیت (علیهم السلام) علی أهمیة بالغة فی القرآن الکریم،وأشار إلیهم فی غیر واحد من آیاته ببیان سماتهم، وحقوقهم، وما یمت إلیهم بصلة، لا سیما آیة التطهیر المعروفة بین المسلمین، أعنی: قوله سبحانه: (إِنّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجسَ أَهْلَ البَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً). ولأجل أهمیة الموضوع ألّف غیر واحد من علماء الفریقین کتباً ورسائل حوله، أفاضوا فیها الکلام حول هویة أهل البیت ومناقبهم وفضائلهم. وقد استرعی انتباهی فی الفترة الأخیرة کتابان حول أهل البیت: أحدهما: «حقوق أهل البیت (علیهم السلام)» لابن تیمیة (المتوفّی عام ۷۲۸هـ)، والآخر: «الشیعة وأهل البیت» للکاتب المعاصر إحسان إلهی ظهیر حیث بذلا الوسع لبیان نزول الآیة فی نساء النبی ص، و الکتاب الثانی أشدّ بخساً فی هذا المجال. وقد أنصف الکتاب الأوّل بعض الإنصاف. هذا وذاک ممّا دعانی إلی تقدیم هذا الکتاب الماثل بین یدیک الذی یبیّن هویة أهل البیت من خلال القرائن الموجودة فی الآیة والروایات المتضافرة، مضافاً إلی بیان سماتهم وحقوقهم عسی أن یجبر بعض ما هضم من حقوقهم فی ذینک الکتابین خصوصاً الکتاب الأخیر. وأود أن أشیر فی الختام إلی نکتة وهی انّ آیة التطهیر لحنها لحن الثناء والتمجید علی أهل البیت (علیهم السلام) فی حین انّ لحن الآیات الواردة فی نساء النبی ص النصح والوعظ تارة، والتندید والتوبیخ أُخری. [صفحه ۶] أمّا الأوّل فکما فی الآیات الواردة فی سورة الأحزاب. یقول سبحانه: (یا أَیُّها النَّبیُّ قُل لأَزْواجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحیاةَ الدُّنیا وَزِینَتَها فَتَعالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَأُسَرِّحْکُنَّ سَراحاً جَمیلاً). [۱] . (یا نِساءَ النَّبیّ مَنْ یَأتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشة مُبَیِّنةٍ یُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعْفَینِ وَکانَ ذلِکَ عَلی اللّهِ یَسیراً). [۲] . (یا نِساءَ النَّبیّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ منَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَولاً مَعْرُوفاً). [۳] . (وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِیَّةِ الأُولی وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِینَ الزَّکاةَ وأَطِعْنَ اللّهَ ورَسُولَهُ). [۴] . وأمّا الثانی أی التنديد و التوبیخ ففی الآیات الواردة فی سورة التحریم: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرضاةَ أَزْواجِکَ واللّهُ غَفُورٌ رَحیم). [۵] . (إِن تَتُوبا إِلی اللّه فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَولاهُ وجِبْرِیلُ وصَالِحُ الْمُؤْمِنِینَ والمَلائِکَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِیر). [۶] . (عَسی رَبُّهُ إِنْطَلَّقْکُنَّ أَنْ یُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَیراً مِنْکُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَیِّباتٍ وَأَبْکاراً). [۷] . فأُمّهات المؤمنین کسائر الصحابیات لهنّ من الفضل ما لغیرهنّ، ولکن آیة التطهیر بلغت من الثناء علی أهل البیت بمکان تأبی من الانطباق علیهن بما عرفت لهنّ من السمات فی الآیات وستوافیک دلالة الآیة علی عصمة أهل البیت وتنزیههم من الزلل والخطأ. [صفحه ۷]

اهل البیت سماتهم و حقوقهم

لقد وردت لفظة «أهل البيت» مرّتين فى القرآن الكريم. قال سبحانه حاكياً عن لسان الرسل: (قالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أمرِ اللّهِ رَحمةُ اللّهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أهلَ البَيْتِ إنّهُ حَمِيدٌ مَجِيد). [۸] . وقال تعالى:(وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى وأقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ واطِعْنَ اللّهَ ورَسُولَهُ إنّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهّرَكُم تَطهِيراً). [۹] . فالآية الأُولى تخاطب أهل بيت خليل اللّه عند ما جاءتهم الرسل فبشّروا امرأته بإسحاق ومن وراء إسحاق بيعقوب. ولمّا كانت هذه البشارة على خلاف السنن الكونية حيث كان الخليل شيخاً وزوجته طاعنة فى السن، فلذلك تعجبت وقالت مخاطبة الرسل: (يا وَيْلَتى ءَأَلِدُ وأنَا عَجُوزٌ وهذا بَعْلِى شَيْخاً إنّ هَذا لَشَيْءٌ عَجِيب) [۱۰] فوافاها [صفحه ۸] الجواب من جانب الرسل الذين كانوا ملائكة وتمثّلوا بصورة الإنسان، قائلين: (أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت انّه حميد مجيد). وأمّا الآية الثانية فقد وردت فى ثنايا الآيات التى نزلت فى شأن نساء النبى ص بدعوتهنّإلى التخلّى عن الدنيا والتحلّى بالتقوى إلى غير ذلك من الوصايا التى وردت ضمن آيات. [۱۱] . والمهم فى هذا المقام هو معرفة أهل البيت فى الآية الثانية وما هى سماتهم وحقوقهم فى الذكر الحكيم؟ فهناك مباحث ثلاثة: من هم أهل البيت (عليهم السلام)؟ و ماهى سماتهم؟ وماهى حقوقهم؟ وها نحن نقوم بدراسة هذه المواضيع فى فصول ثلاثة مستمدين من اللّه العون والتوفيق. [صفحه ۹]

من هم أهل البيت

اشاره

إنّ المعروف بين المفسرين والمحدّثين، هو انّ المراد من أهل البيت فى الآية المباركة، العترة الطاهرة الذين عرّفهم الرسول ص فى حديث الثقلين، وقال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتى». غير انّ تحقيق مفاد الآية وتبيين المراد من أهل البيت فيها وانطباقها على حديث الثقلين يستدعى البحث فى موردين: أ. أهل البيت لغة وعرفاً. ب. أهل البيت فى الآية المباركة. وإليك الكلام فيهما واحداً تلو الآخر. [صفحه ۱۰]

اهل البيت لغة وعرفا

هذا اللفظ مركب من كلمتين ولكل مفهوم، ويمكن تحديد مفهوم «الأهل» من موارد استعماله فيقال: ۱. أهل الأمر والنهى. ۲. أهل الإنجيل. ۳. أهل الكتاب. ۴. أهل الإسلام. ۵. أهل الرجل. ۶. أهل الماء. وهذه الموارد توقفنا على أنّ كلمة «أهل» تستعمل مضافاً فيمن كان له علاقة قوية بمن أُضيف إليه، فأهل الأمر والنهى هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الإنجيل هم الذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسلام. وقد اتفقت كلمة أهل اللغة على أنّ الأهل والآل كلمتان بمعنى واحد، قال ابن منظور: آل الرجل: أهله، وآل اللّه وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أُبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير أأل، فلمّا توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفى الفعل آمن وآزر. وقد أنشأ عبد المطلب عند هجوم ابرهة على مكة المكرمة، وقد أخذ حلقة باب الكعبة وقال: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وعلى ما ذكرنا، فهذا اللفظ إذا أُضيف إلى شىء يقصد منه المضاف الذى له علاقة خاصة بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً هم أخص الناس به، وأهل المسجد، المتردّدون كثيراً إليه، وأهل الغابة القاطنون فيها... فإذا لاحظنا موارد [صفحه ۱۱] استعمال هذه الكلمة لا- نتردّد فى شمولها للزوجة والأولاد، بل وغيرهم ممّن تربطهم رابطة خاصة بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج، ولأجل ذلك ترى أنّه سبحانه يطلقه على زوجة إبراهيم كما عرفت فى الآية. هذا هو حق الكلام فى تحديد مفهوم هذه الكلمة، ولنأت ببعض نصوص أئمّة اللغة. قال ابن منظور: أهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبى: أزواجه وبناته وصهره، أعنى: علياً (عليه السلام)، وقيل: نساء النبى والرجال الذين هم آله. [۱۲] . فلقد

أحسن الرجل فى تحديد المفهوم أوّلاً وتوضيح معناه فى القرآن الكريم ثانياً، كما أشار بقوله: «قيل» إلى ضعف القول الآخر، لأنّه نسبه إلى القيل. وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل بن أحمد: أهل الرجل: زوجه، والتأهّل، التزوّج، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت: سكّانه، وأهل الإسلام: من يدين به. [۱۳] . وقال الراغب فى «مفرداته»: أهل الرجل من يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل فى الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثم تجوز به فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيّاهم النسب وتعورف فى أُسرة النبى عليه الصلاة والسلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت. [۱۴] . وقال الفيروز آبادى: أهل الأمر: ولاته، وللبيت سكّانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته كأهله، وللنبى أزواجه وبناته وصهره على ـ رضى اللّه [صفحه ۱۲] تعالى عنه ـ أو نساوَه والرجال الذين هم آله. [۱۵] . هذه الكلمات ونظائرها بين أعلام أهل اللغة كلّها تعرب عن أنّ مفهوم أهل البيت فى اللغة هم الذين لهم صلة وطيدة بالبيت، وأهل الرجل من له صلة به بنسب أو سبب أو غيرهما. هذا هو الحق الذى لامرية فيه والعجب من إحسان إلهى ظهير الذى ينقل هذه النصوص من أئمّة اللغة وغيرهما ثم يستظهر انّ أهل البيت يطلق أصلاً على الأزواج خاصة، ثم يستعمل فى الأولاد والأقارب تجوّزاً، ثم يقول: هذا ما يثبت من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة فى قصة إبراهيم بالبشرى، فقال اللّه عزّ وجلّ فى سياق الكلام: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ - قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ - قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) [۱۶] وقال: فاستعمل اللّه عزّ وجلّ هذه اللفظة على لسان ملائكته فى زوجة إبراهيم (عليه السلام) لا غير، وهكذا قال اللّه عزّ وجلّ فى كلامه المحكم فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً) [۱۷] ، فالمراد من الأهل زوجة موسى (عليه السلام)، وهى بنت شعيب. [۱۸] . نحن نسأل الكاتب من أين استظهر من كلمات أهل اللغة انّ «الأهل» تطلق [صفحه ۱۳] أصلاً على الأزواج خاصة، ثم تستعمل فى الأولاد تجوّزاً؟! أليس قد تقدّم لنا كلام ابن منظور: أهل الرجل: أخص الناس به؟! أليس الأولاد أخص الناس بالرجل؟ ومن فسره بقوله: أهل الرجل زوجه لا يريد اختصاصه بالزوج، بل يشير إلى أحد موارد استعماله، ولأجل ذلك يستدركه ويصرح بقوله: أهل الرجل: أخص الناس به. ثم نسأله عن دلالة الآيتين على اختصاص الأهل بالأزواج وهل فى منطق اللغة والأدب جعل الاستعمال دليلاً على الانحصار؟ فلا شك انّ الأهل فى الآيتين أُطلق على الزوجة، وليس الإطلاق دليلاً على الانحصار، على أنه أُطلق فى قصة الخليل وأُريد الزوجة والزوج معاً، أى نفس الخليل بشهادة قوله تعالى: (عليكم أهل البيت) والإتيان بضمير الجمع المذكر، وإرادة واحد منهما وحمل الخطاب العام على التعظيم، لا وجه له فى المقام. وحصيلة الكلام: انّ مراجعة كتب اللغة، وموارد استعمال الكلمة فى الكتاب والسنّة تعرب عن أنّ مفهوم «الأهل» هو المعنى العام وهو يشمل كل من له صلة بالرجل والبيت صلة وطيدة مؤكدة من نسب أو سبب أو غير ذلك، من غير فرق بين الزوجة والأولاد وغيرهم، وانّ تخصيصها بالزوجة قسوة على الحق، كما أنّ تخصيصها لغة بالأولاد وإخراج الأزواج يخالف نصوص القرآن واستعمالها كما عرفت فى الآيات الماضية. هذا هو الحق فى تحديد المفهوم، فهلّم معى نبحث عما هو المراد من هذا المفهوم فى الآية الكريمة، وهل أُريد منه كل من انتمى إلى البيت من أزواج وأولاد أو أنّ هناك قرائن خاصة على أنّ المقصود قسم من المنتمين إليه؟ وليس هذا بشىء غريب، لأنّ المفهوم العام قد يطلق ويراد منه جميع الأصناف [صفحه ۱۴] والأقسام كما يطلق ويراد منه حسب القرائن بعضهم، وقد عرفت أنّ المراد من الأهل فى قصة موسى زوجته وفى قصة إبراهيم زوجته، وعلى هذا لا شك فى شمول كلمة أهل البيت للزوجة والأولاد وغيرهما إلّا أن تقوم قرائن على أنّ المراد صنف خاص، والمدّعى انّه قد قامت القرائن على إرادة صنف خاص منهم، وتتبيّن فى البحث الآتى:

اهل البيت فى الآية المباركة

اشاره

اختلف المفسرون فى بيان ما هو المراد من «أهل البيت» فى الآية المباركة على أقوال، غير انّ العبرة بقولين، والاَقوال الاَخر شاذة لا يعبأ بها، وانّما اختلقت لحل الاِشكالات الواردة على القول الثانى كما سيوافيك بيانها فى آخر البحث. ۱. المراد بنت النبى وصهره وولداهما الحسن والحسين (عليهم السلام). ۲. نساء النبى «(صلى الله عليه وآله وسلم). [۱۹] . ولا بد من إمعان النظر فى تعيين المراد بعد قابلية اللفظ لشمول كلتا الطائفتين، فيقول: إنّ هناك قرائن تدل بوضوح على أنّ المراد من هذه الكلمة جماعة خاصة منتمين إلى البيت النبوى بوشائج خاصة لا كل المنتمين إليه، وإليك تلك القرائن:

اللام فى اهل البيت للعهد

لا شك أنّ اللام قد تطلق ويراد منها الجنس المدخول كقوله سبحانه: (إنّ الاِنسان لفى خُسر). [۲۰] . وقد يطلق ويراد منها استغراق أفراده كقوله سبحانه: (يَا أَيُّها النَّبِىُّ جَاهِدِ [صفحه ۱۵] الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ). [۲۱] . وثالثة تستعمل فى العهد باعتبار معهودية مدخولها بين المتكلّم والمخاطب. ولا يمكن حمل اللام فى «البيت» على الجنس أو الاستغراق، لاَنّ الاَوّل انّما يناسب إذا أراد المتكلم بيان الحكم المتعلّق بالطبيعة كما يعلم من تمثيلهم لذلك بقوله تعالى: (إِنَّ الاِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) [۲۲] ، ومن المعلوم أنّ الآية الكريمة ليست بصدد بيان حكم طبيعة أهل البيت، كما لا يصح أن يحمل على العموم، أى: جميع البيوت فى العالم، أو بيوت النبى، وإلاّ ـ لناسب الاِتيان بصيغة الجمع فيقول: أهل البيوت، كما أتى به عندما كان فى صدد إفادة ذلك، وقال فى صدر الآية: (وقرن فى بيوتكن). فتعين أن يكون المراد هو الثالث، أى البيت المعهود، فالآية تشير إلى إذهاب الرجس عن أهل بيت خاص، معهود بين المتكلم والمخاطب، وحينئذ يقع الكلام فى تعيين هذا البيت المعهود، فما هو هذا البيت؟ هل هو بيت أزواجه، أو بيت فاطمة وزوجها والحسن والحسين (عليهم السلام)؟ لا سبيل إلى الاَوّل، لاَنّه لم يكن لاَزواجه بيت واحد حتى تشير اللام إليه، بل تسكن كل واحدة فى بيت خاص، ولو أُريد واحداً من بيوتهن لاختصت الآية بواحدة منهم، وهذا ما اتفقت الاُمّة على خلافه. أضف إلى ذلك أنّه على هذا يخرج بيت فاطمة مع أنّ الروايات ناطقة بشمولها، وانّما الكلام فى شمولها لاَزواج النبى كما سيوافيك بيانه. [صفحه ۱۶] هذا كلّه على تسليم انّ المراد من البيت هو البيت المبنى من الاَحجار والآجر والاَخشاب، فقد عرفت أنّ المتعيّن حمله على بيت خاص معهود ولا يصح إلاّ حمله على بيت فاطمة، إذ ليس هناك بيت خاص صالح لحمل الآية عليه. وأمّا لو قلنا بأنّ البيت قد يطلق ويراد منه تارة هذا النسق، كما فى قوله تعالى: (وقرن فى بيوتكن ولا ـ تبرجن تبرج الجاهلية الاُولى)، وأُخرى غير هذا النمط من البيت، مثل قول القائل: «بيت النبوة» و «بيت الوحى» تشبيهاً لهما على المحسوس، فلا محيص أن يراد منه المنتمون إلى النبوة والوحى بوشائج معنوية خاصة على وجه يصح مع ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت، وتلك الوشائج عبارة عن النزاهة فى الروح والفكر، ولا يشمل كل من يرتبط ببيت النبوة عن طريق السبب أو النسب فحسب، وفى الوقت نفسه يفتقد الاَواصر المعنوية الخاصة، ولقد تفطّن العلاّمة الزمخشرى صاحب التفسير لهذه النكتة، فهو يقول فى تفسير قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) [۲۳] ، لاَنّها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والاَمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة، وان تسبح اللّه وتمجّده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة فى قولها: (رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا انّ هذه وأمثالها ممّا يكرمكم به رب العزة، ويخصّكم بالاَنعام به يا أهل بيت النبوة. [۲۴] وعلى ذلك لا يصح تفسير الآية بكل المنتسبين عن طريق الاَواصر الجسمانية لبيت خاص حتى بيت فاطمة، إلاّ أن تكون هناك الوشائج المشار [صفحه ۱۷] إليها، ولقد ضل من ضل فى تفسير الآية بغير تلك الجماعة عليها السلام، فحمل البيت فى الآية على البيت المبنى من حجر ومدر مع أنّ المراد غيره. ولقد جرى بين قتادة ذلك المفسر المعروف وبين أبى جعفر محمد بن على الباقر (عليه السلام) محادثة لطيفة أرشده الاِمام فيها إلى هذا المعنى الذى أشرنا إليه، قال ـ عندما جلس أمام الباقر (عليه السلام) ـ: لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدّام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. قال له أبو جعفر (عليه السلام): «ويحك، أتدرى أين أنت؟

أنت بين يدى: (فى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ والآصالِ - رجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ) [۲۵] فأنت ثم ونحن أُولئك» فقال له قتادة: صدقت واللّه جعلنى اللّه فداك، واللّه ما هى بيوت حجارة ولا طين [۲۶] . وهذه القرينة تحضّ المفسر على التحقيق عن الأفراد الذين يرتبطون بالبيت بأواصر معينة، وبذلك يسقط القول بأنّ المراد منه أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنّه لم تكن تلك الوشائج الخاصة باتفاق المسلمين بينهم وأقصى ما عندهن انهن كن مسلمات مؤمنات.

تذكير الضمائر

نرى أنّه سبحانه عندما يخاطب أزواج النبى يخاطبهن حسب المعتاد بضمائر التأنيث، ولكنّه عندما يصل إلى قوله: (إنّما يريد اللّه ليذهب...) يغير الصيغة الخطابية فى التأنيث ويأتى بصيغة التذكير، فما هو السر فى تبديل الضمائر لو كان المراد أزواج النبى؟ وإليك نص الآيات: [صفحه ۱۸] (يا نِسَاءَ النَّبِىّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً). [۲۷] . (وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). [۲۸] . (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنَ آياتِ اللّهِ وَالحِكْمَةِ إِنّ اللّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً). [۲۹] . ترى أنّه سبحانه يخاطبهن فى الآية الأُولَى بهذه الخطابات: ۱. لستن. ۲. اتقيتن. ۳. فلا تخضعن. ۴. وقلن. ويخاطبهن فى الآية الثانية بهذه الخطابات: ۱. قرن. ۲. بيوتكن. ۳. لا تبرجن. ۴. أقمن. ۵. آتين. ۶. أطعن. كما يخاطبهن فى الآية الثالثة بقوله: ۱. واذكرن. ۲. بيوتكن. وفى الوقت نفسه يتخذ فى ثنايا الآية الثانية موقفاً خاصاً فى الخطاب ويقول: ۱. عنكم. ۲. يطهركم. فما وجه هذا العدول إذا كان المراد نساء النبى؟! أو ليس هذا يدل على أنّ المراد ليس نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحه ۱۹] وقد حاول القرطبى التفصّى عن الإشكال فقال: إنّ تذكير الضمير يحتمل لأن يكون خرج مخرج «الأهل» كما يقول لصاحبه: كيف أهلك، أى امرأتك ونساؤك؟ فيقول: هم بخير، قال اللّه تعالى: (أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت). [۳۰] . ولكن المحاولة فاشلة فانّ ما ذكره من المثال على فرض سماعه من العرب، إنّما إذا تقدّم «الأهل» وتأخّر الضمير، دون العكس كما فى الآية، فإنّ أحد الضميرين مقدّم على لفظ «الأهل» فى الآية كما يقول: (عنكم الرجس أهل البيت). وأمّا الاستشهاد فى الآية فغير صحيح، لأنّ الخطاب فيها لإبراهيم وزوجته، فيصح التغليب تغليب الأشرف على غيره فى الخطاب والمفروض فى المقام انّ الآية نزلت فى زوجاته ونسائه خاصة فلا معنى للتغليب. نعم انّما تصح فكرة التغليب لو قيل بأنّ المراد منه، هو أولاده وصهره وزوجاته، وهو قول ثالث سنبحث عنه فى مختتم البحث، وسيوافيك انّ بقية الأقوال كلها مختلقة لتصحيح الإشكالات الواردة على النظرية الثانية، فلاحظ.

الارادة تكوينية لا تشريعية

سيوافيك الكلام عند البحث فى سمات أهل البيت، انّ من سماتهم، كونهم معصومين من الذنب وذلك بدليل كون من الإرادة فى قوله: (إنّما يريد اللّه...) الإرادة التكوينية، التى لا ينفك المراد فيها عن الإرادة وتكون متحقّقة وثابتة فى الخارج، وبما أنّ المراد هو إذهاب الرجس وإثبات التطهير وتجهيزهم [صفحه ۲۰] بالأسباب والمعدّات المنتهية إلى العصمة، فلا يصح أن يراد من أهل البيت أزواج النبى، إذ لم يدّع أحد من المسلمين كونهن معصومات من الذنب ومطهرات من الزلل. فلا مناص عن تطبيقه على جماعة خاصة من المنتمين إلى البيت النبوى الذين تحقّق فيهم تعلّقهم بالأسباب والمقتضيات التى تنتهى بصاحبها إلى العصمة ولا ينطبق هذا إلاّ على الإمام على وزوجته والحسنين (عليهم السلام)، لأنّ غيرهم مجمع على عدم اتصافهم بهذه الأسباب. القرينة الرابعة انّ الآيات المربوطة بأزواج النبى تبتدئ من الآية ۲۸ وتنتهى بالآية ۳۴، وهى تخاطبهن تارة بلفظ «الأزواج» ومرتين بلفظ «نساء النبى» الصريحين فى زوجاته، فما هو الوجه فى العدول عنهما إلى لفظ «أهل البيت» فإنّ العدول قرينة على أنّ المخاطب به غير المخاطب بهما.

اهل البیت فی کلام النبی الاکرم

اشاره

قـد وقفت علی المراد من أهل البیت فی الآیـة المبارکـة من خلال دراسـة مفردات الآیـة وجملها وهـدفها. وهناک طریق آخر للتعرّف علیهم، وهو دراسـة الاَحـادیث الواردة فی کلام النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) فإنّهـا تکشف عن وجه الحقیقـة، فنقول: إنّ للنبی الاَـکرم عنایـة وافرة بتعریف أهـل البیت لم یر مثلهـا إلاّـ فی أقـلِّ الموارد، حیث قـام بتعریفهم بطرق مختلفـة سـیوافیک بیانها، کما أنّ للمحدّثین والمفسـرین وأهل السیر والتاریخ عنایة کاملة بتعریف أهل بیت نبیه ص فی مواضع مختلفة حسب المناسـبات التی تقتضـی طرح هـذه المسألـة، کمـا أنّ للشـعراء الاِسـلامیین المخلصـین فی طـوال قرون، عنایـة بـارزة ببیـان فضائـل أهـل الـبیت والتعریف بهم، والتصریح بأسمائهم [صفحه ۲۱] علی وجه یظهر من الجمیع اتفاقهم علی نزول الآیة فی حق العترة الطاهرة، وسیوافیک نزر من شعرهم فی مختتم البحث. کـل ذلـک یعرب عن أنّ الرأی العـام بین المسـلمین فی تفسـیر أهل البیت هو القول الاَوّل، وانّ القول بأنّ المقصود منهم زوجاته کان قولاً شاذاً متروکاً ینقل ولا یعتنی به، ولم ینحرف عن ذلک الطریق المهیع إلاّ بعض من اتخـذ لنفسه تجاه أهل البیت موقفـاً یشـبه موقف أهـل العـداء والنصب. قام النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) بتعریف أهل البیت بطرق ثلاثـة نشـیر إلیها: ۱. صرّح بأسـماء من نزلت الآیة فی حقّهم حتی یتعین المنزول فیه باسـمه ورسـمه. ۲. قـد أدخل جمیع من نزلت الآیـة فی حقّهم تحت الکساء، ومنع من دخول غیرهم، وأشار بیده إلی السـماء وقال: «اللّهم إنّ لکل نبی أهل بیت وهوَلاء أهل بیتی» کما سیوافیک نصه. ۳. کان یمر ببیت فاطمة عدة شـهور، کلّما خرج إلی الصـلاة فیقول: الصلاة أهل البیت: (إنَّما یرید اللّه لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً). وبهـذه الطرق الثلاثة حدّد أفراد أهل البیت وعین مصادیقهم علی وجه یکون جامعاً لهم ومانعاً عن غیرهم، ونحن ننقل ما ورد حول الطرق الثلاثـة فی التفسـیرین: الطبری والـدر المنثور للسـیوطی، ثم نـأتی بمـا ورد فی الصـحاح السـتة حسب مـا جمعه ابن الاَـثیر الجزری فی کتابه «جامع الاُصول» وأخیراً نشیر إلی الجوامع التی جمعت فیها أحادیث الفریقین حول نزول الآیة فی حق الخمسةالطیبة، ونترک الباقی إلی القارئَ الکریم، فإنّ البحث قرآنی لا حدیثی والاستیعاب فی الموضوع یحوجنا إلی تألیف مفرد. [صفحه ۲۲]

التصریح بأسمائهم

۱. روی الطبری: عن أبی سـعید الخـدری قال: قال رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله وسـلم): «نزلت هـذه الآیة فی خمسة: فیّ، وفی علیّ رضـی اللّه عنه، وحسن رضی اللّهعنه، وحسین رضی اللّه عنه، وفاطمة رضی اللّه عنها: (إنّما یرید اللّه لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً)». ۲. عن أبی سعید، عن اُم سـلمة زوج النبی (صـلی الله علیه وآله وسلم) انّ هذه الآیة نزلت فی بیتها (إنّما یرید اللّه لیـذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً) قالت: وأنا جالسـة علی باب البیت، فقلت: أنا یا رسول اللّه ألست من أهل البیت؟ قال: «إنّک إلی خیر، أنت من أزواج النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم)» قالت: وفی البیت رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) وعلی وفاطمـة والحسن والحسـین رضـی اللّه عنهم. وفی «الدر المنثور» ما یلی: ۳. روی السـیوطی عن ابن مردویه، عن اُم سـلمة قالت: نزلت هـذه الآیـة فی بیتی (إنّمـا یریـد اللّه لیـذهب عنکم الرجس أهـل البیت ویطهّرکم تطهیراً) وفی البیت سـبعة: جبریل، ومیکائیل (علیهما السـلام)، وعلی، وفاطمـة، والحسن، والحسـین رضـی اللّه عنهم؛ وأنـا علی بـاب البیت، قلت: یـا رسول اللّه ألست من أهل البیت؟ قال: «إنّـک إلی خیر، إنّـک من أزواج النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم)». ۴. وأخرج ابن جریر وابن أبی حـاتم والطبرانی عن أبی سـعید الخدری ـ رضـی اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله وسـلم): «نزلت هذه الآیة فی خمسة: فیّ، [صفحه ۲۳] وفی علی، وفاطمة، وحسن، وحسین (إنّما یرید اللّه لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً).

ادخالهم تحت الكساء

إدخالهم تحت الكساء أو «مرط أو ثوب» أو «عباءة أو قطيفة»: فقد وردت حوله هذه الروايات: ۵. أخرج الطبرى قال: قالت عائشة: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات غداة وعليه مِرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). ۶. أخرج الطبرى قال: عن أُمّ سلمة قالت: كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطّى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال: «اللّهمّ هوَلاء أهل بيتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ۷. أخرج الطبرى: عن أبى عمار قال: إنّى لجالس عند واثلة بن الاَسقع إذ ذكروا عليّاً رضى اللّه عنه فشتموه، فلمّا قاموا قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموا، انّى عند رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاءه على وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال: اللّهم هوَلاء أهل بيتى، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ۸. أخرج الطبرى: عن أبى عمار قال: سمعت واثلة بن الاَسقع يحدث قال: سألت عن على بن أبى طالب فى منزله، فقالت فاطمة: قد ذهب يأتى برسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ جاء، فدخل رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخلت، فجلس رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليّاً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه، فلفع عليهم بثوبه، وقال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت [صفحه ۲۴] ويطهّركم تطهيراً) اللّهم هوَلاء أهلى اللّهم أهلى». ۹. أخرج الطبرى: عن أبى سعيد الخدرى عن أُمّ سلمة قالت: لمّا نزلت هذه الآية (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) دعا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّل عليهم كساءً خيبرياً، فقال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى، اللّهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت: أُمّ سلمة قلت: ألست منهم؟ قال: «أنت إلى خير». ۱۰. أخرج الطبرى: عن أبى هريرة، عن أُم سلمة: قالت: جاءت فاطمة إلى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه فقال: «أين ابن عمك وابناك؟» فقالت: «فى البيت» فقال: «ادعيهم»، فجاءت إلى على فقالت: «أجب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت وابناك»، قالت أُمّ سلمة: فلما رآهم مقبلين مدَّ يده إلى كساء كان على المنامة فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الاَربعة بشماله فضمه فوق روَوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربِّه، فقال: «هوَلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ۱۱. أخرج الطبرى: عن عمر بن أبى سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيت أُمّ سلمة: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هوَلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أُم سلمة: أنا معهم، قال: «مكانك، وأنت على خير». [صفحه ۲۵] ۱۲. أخرج الطبرى: قال عامر بن سعد، قال: قال سعد: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حين نزل عليه الوحى فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: «رب هوَلاء أهلى وأهل بيتى». ۱۳. أخرج الطبرى: عن حكيم بن سعد قال: ذكرنا على بن أبى طالب رضى اللّه عنه عند أُم سلمة، قالت: فيه نزلت (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) قالت أُم سلمة: جاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيتى فقال: لا تأذنى لاَحد، فجاءت فاطمة فلم استطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن فلم استطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأُمّه، وجاء الحسين فلم استطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على بساط فجللهم نبى اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء كان عليه ثم قال: «هوَلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت فقلت: يا رسول اللّه: وأنا؟ قال: «إنّك إلى خير». ۱۴. روى السيوطى: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أُم سلمة رضى اللّه عنهما زوج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبرى، فجاءت فاطمة رضى اللّه عنها ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «ادعى زوجك وابنيك حسناً وحسيناً»، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهّركم تطهيراً) فأخذ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضلة أزاره فغشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء ثم قال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالها ثلاث مرات، قالت أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ: فأدخلت رأسى فى الستر، فقلت: يا [صفحه ۲۶] رسول اللّه وأنا معكم؟ فقال: «إنّك إلى خير» مرّتين. ۱۵. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة ـ رضى اللّه عنها ـ: «إئتنى بزوجك وابنيه»، فجاءت بهم، فألقى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم كساءً فدكياً ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللّهم إنّ هوَلاء أهل محمد وفى لفظ: آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد». قالت أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدى وقال: «إنّك على خير». ۱۶. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ قالت: جاءت فاطمة ـ رضى اللّه عنها ـ إلى أبيها بثريدة لها، تحملها فى طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: «هو فى البيت». قال: «اذهبى فادعيه وابنيك»، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما فى يد وعلى ـ رضى اللّه عنه ـ يمشى فى أثرهما حتى دخلوا على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأجلسهما فى حجره وجلس على ـ رضى اللّه عنه ـ عن يمينه وجلست فاطمة ـ رضى اللّه عنها ـ عن يساره، قالت أُمّ سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ: فأخذت من تحتى كساء كان بساطاً على المنامة فى البيت. [۳۱] . ۱۷. روى السيوطى: وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى اللّه عنه ـ قال: كان يوم أُمّ سلمة أُم المؤمنين ـ رضى اللّه عنها ـ فنزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الآية (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) قال: فدعا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسن وحسين وفاطمة وعلى فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أُم [صفحه ۲۷] سلمة مضروب، ثم قال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى، اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ: فأنا معهم يا نبى اللّه؟ قال: «أنت على مكانك، وأنّك على خير». ۱۸. روى السيوطى: وأخرج الترمذى وصحّحه، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه والبيهقى فى سننه، من طرق، عن أُمّ سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ قالت: فى بيتى نزلت: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فجلّلهم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء كان عليه ثم قال: «هوَلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». ۱۹. روى السيوطى: وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والحاكم عن عائشة ـ رضى اللّه عنها ـ قالت: خرج رسول اللّه ص غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين ـ رضى اللّه عنهما ـ فأدخلها معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). ۲۰. روى السيوطى: وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه، عن سعد قال: نزل على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحى، فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «اللّهم هوَلاء أهلى وأهل بيتى». ۲۱. روى السيوطى: وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه، عن واثلة ابن الأسقع ـ رضى اللّه عنه ـ قال: جاء رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلى، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه [صفحه ۲۸] وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً).

تعيينهم بتلاوة الآية على بابهم

اشاره

۲۲. أخرج الطبرى: عن أنس، انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة، فيقول:

الصلاة أهل البيت: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)». ۲۳. أخرج الطبرى: أخبرنى أبو داود، عن أبى الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: رأيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). ۲۴. أخرج الطبرى: عن يونس بن أبى إسحاق باسناده، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله. ۲۵. روى السيوطى: أخرج ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسّنه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبرانى، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، عن أنس ـ رضى اللّه عنه ـ أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمرّ بباب فاطمة ـ رضى اللّه عنها ـ إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلاة يا أهل البيت: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)». ۲۶. روى السيوطى: أخرج ابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى اللّه عنه ـ قال: لما دخل على رضى اللّه عنه بفاطمة رضى اللّه عنها جاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين صباحاً إلى بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته، [صفحه ۲۹] الصلاة رحمكم اللّه (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم». ۲۷. روى السيوطى: أخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن أبى الحمراء رضى اللّه عنه قال: حفظت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى إلى باب على رضى اللّه عنه فوضع يده على جنبتى الباب ثم قال: «الصلاة الصلاة: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)». ۲۸. روى السيوطى: وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس ـ رضى اللّه عنهما ـ قال: شهدنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب رضى اللّه عنه عند وقت كل صلاة، فيقول: «السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته أهل البيت (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) الصلاة رحمكم اللّه» كل يوم خمس مرّات. ۲۹. روى السيوطى: وأخرج الطبرانى عن أبى الحمراء رضى اللّه عنه، قال: رأيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتى باب على وفاطمة ستة أشهر فيقول: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). [۳۲] . جولة حول ما رواه العلمان قد تعرفت على أكثر ما رواه الطبرى والسيوطى فى تفسيرهما، وتركنا بعض ما نقلاه فى ذلك المجال عن أعلام التابعين، وما رويناه ينتهى اسناده إلى [صفحه ۳۰] أقطاب الحديث من الصحابة وعيون الاَثر، وهم: ۱. أبو سعيد الخدرى. ۲. أنس بن مالك. ۳. ابن عباس. ۴. أبو هريرة الدوسى. ۵. سعد بن أبى وقاص. ۶. واثلة بن الاَسقع. ۷. أبو الحمراء، أعنى: هلال بن الحارث. ۸. أُمّهات المؤمنين: عائشة وأُم سلمة. أيصح بعد هذا لمناقش أن يشك فى صحة نزولها فى حق العترة الطاهرة؟! وليس الطبرى والسيوطى فريدين فى نقل تلك المأثورة، بل سبقهما، أصحاب الصحاح والمسانيد فنقلوا نزول الآية فى حقهم صريحاً أو كناية، ولا بأس بنقل ما جاء فى خصوص الصحاح حتى يعضد بعضه بعضاً فنقول: ۳۰. أخرج الترمذى: عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى اللّه عنه ـ قال: لمّا نزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونساءَنا ونساءَكُمْ) [۳۳] الآية، دعا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هوَلاء أهلى». [صفحه ۳۱] ۳۱. أخرج الترمذى: عن أُم سلمة رضى اللّه عنها: قالت إنّ هذه الآية نزلت فى بيتى (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) قالت: وأنا جالسة عند الباب فقلت: يا رسول اللّه ألست من أهل البيت؟ فقال: «إنّك إلى خير، أنت من أزواج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)»، قالت: وفى البيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى وفاطمة وحسن وحسين، فجلّلهم بكسائه وقال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفى رواية انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جلل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة ثم قال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى وحامّتى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أُم سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: «إنّك إلى خير». ۳۲. أخرج الترمذى: عن عمر بن أبى سلمة قال: نزلت هذه الآية على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) فى بيت أُم سلمة، فدعا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعلىٌّ خلف ظهره، ثم قال: «اللّهم هوَلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أُم سلمة: وأنا معهم يا نبى اللّه؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير». ۳۳. أخرج الترمذى:

عن أنس بن مالك: انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمرُّ بباب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية قريباً من ستة أشهر يقول: الصلاة أهل البيت (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). ۳۴. أخرج مسلم: عن عائشة قالت: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه مِرط مُرَحَّل أسود، فجاءه الحسن فأدخله، ثم جاءه الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة [صفحه ۳۲] فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس) الآية. ۳۵. أخرج مسلم: عن زيد بن أرقم: قال يزيد بن حيان: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: يا ابن أخى، واللّه لقد كبرت سنى، وقدم عهدى، ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى: خماً، بين مكة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أمّا بعد: ألا أيّها الناس، إنّما أنا بشر، يوشك أن يأتينى رسول ربّى فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما: كتاب اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه، واستمسكوا به، فحث على كتاب اللّه ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتى، أذكركم اللّه فى أهل بيتى، أذكركم اللّه فى أهل بيتى، أذكركم اللّه فى أهل بيتى، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم، زاد فى رواية «كتاب اللّه فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل». وفى أُخرى نحوه: غير أنّه قال: «وإنّى تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب اللّه وهو حبل اللّه فمن اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، وفيها فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه قال: لا وأيم اللّه انّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته الذين حرموا [صفحه ۳۳] الصدقة بعده. [۳۴] . هذا ما رواه أصحاب الصحاح حول نزول الآية فى حق العترة الطاهرة وتركنا ما رواه الإمام أحمد فى مسنده روماً للاختصار، وفى هذا غنى وكفاية لمن رام الحق واتبعه وعرف الباطل فاجتنبه، ومن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى المصادر التالية: ۱. العمدة للمحدث الحافظ يحيى بن سعيد المتوفّى عام ۶۰۰ هـ الطبعة الحديثة. [۳۵] . ۲. بحار الأنوار: ۳۵-۲۰۶ ـ ۲۲۶. ۳. غاية المرام: ۲۸۷و ۲۹۴، فقد أورد فيه واحداً وأربعين حديثاً من كتب أهل السنّة، وأربعاً وثلاثين من كتب الشيعة. ۴. تفسير البرهان: ۳-۳۰۹ ـ ۳۲۵، فقد أورد فيه خمساً وستين حديثاً. ۵. نور الثقلين: ۴-۲۷۰ ـ ۲۷۷، أورد فيه خمسة وعشرين حديثاً. ۶. إحقاق الحق: ۲-۵۰۲ ـ ۵۴۴، فقد نقل نزول الآية فى حق العترة الطاهرة عن كتب أهل السنة حديثاً وتفسيراً، ثم استدرك ما فاته فى الجزء التاسع والرابع عشر. [صفحه ۳۴] ۷. آية التطهير فى حديث الفريقين فقد استقصى فى جزء خاص الأحاديث الواردة حول الموضوع من طريق الفريقين شكر اللّه مساعى الجميع. وبعد هذا، حان حين البحث عن دلائل القول الآخر: وهو نزول الآية فى نسائه.

نزولها فى نسائه

قد تعرفت على دلائل القول وقرائنه وموَيداته وأحاديثه المتواترة التى أطبق على نقلها تسع وأربعون [۳۶] صحابياً وصحابية من أُمهات المؤمنين، وقد تلقته الأُمّة بالقبول فى القرون الماضية، وأمّا القول الثانى أعنى نزولها فى نسائه وزوجاته ص فقد نسب إلى أشخاص نقل عنهم، منهم: ۱. ابن عباس. ۲. عكرمة. ۳. عروة بن الزبير. ۴. مقاتل بن سليمان. أمّا الأوّل: فقد نقل عنه تارة، عن طريق سعيد بن جبير، وأُخرى عن طريق عكرمة، قال السيوطى فى الدر المنثور: وأخرج ابن أبى حاتم، وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس عن قوله: (إنّما يريد اللّه...) قال: نزلت فى نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال أيضاً: أخرج ابن مردويه عن طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نزلت فى نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحه ۳۵] وأمّا الثانى: أعنى عكرمة، فقد نقله عنه

الطبرى، عن طريق «علقمة» وانّ عكرمة كان ينادى فى السوق: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس...) نزلت فى نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). ونقل فى الدر المنثور: أخرج ابن جرير وابن مردويه، عن عكرمة فى قوله: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم...) إنّه قال ليس بالذى تذهبون إليه إنّما هو نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). وأمّا الثالث: أعنى: عروة بن الزبير، فقال السيوطى: وأخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير انّه قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال: أزواج النبى نزلت فى بيت عائشة. وأمّا الرابع: فقد نقل عنه فى أسباب النزول. [۳۷] . تحليل هذه النقول أمّا نقله عن ابن عباس فليس بثابت، بل نقل عنه خلاف ذلك، فقد نقل السيوطى فى «الدر المنثور» قال: وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس قال: شهدنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته أهل البيت (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)». وليس ابن مردويه فريداً فى هذا النقل، فقد نقله عنه الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل [۳۸] بسند ينتهى إلى أبى صالح، عن ابن عباس: (إنّما يريد اللّه [صفحه ۳۶] ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) نزلت فى رسول اللّه وعلى وفاطمة والحسن والحسين. والرجس: الشك. كما نقله الحافظ الحسين بن الحكم الحبرى فى «تنزيل الآيات» عن أبى صالح بمثل ما سبق. [۳۹] . وممن رواه عن ابن عباس صاحب أرجح المطالب ص ۵۴ طبع لاهور، والعلاّمة إسماعيل النقشبندى «فى مناقب العترة». أضف إلى ذلك أنّ من البعيد أن يخفى على ابن عباس حبر الاُمّة ما اطّلع عليه عيون الصحابة وأُمّهات المؤمنين، وقد أنهى بعض الفضلاء السادة [۴۰] عدد رواة الحديث من الصحابة إلى تسعة وأربعين صحابياً. وجمعها من مصادر الفريقين فى الفضائل والمناقب.

و اما عكرمة

فقد ثبت تقوّله بذلك كما عرفت، لكنّ فى نفس كلامه دليلاً واضحاً على أنّ الرأى العام يوم ذاك فى شأن نزول الاُمّة هو نزولها فى حق فاطمة، وانّما تفرّد هو بذلك، ولاَجله رفع عقيرته فى السوق بقوله: ليس بالذى تذهبون إليه وإنّما هو نساء النبى. أضف إلى ذلك: انّ تخصيص هذه الآية بالنداء فى السوق وانّها نزلت فى نساء النبى يعرب عن موقفه الخاص بالنسبة إلى من اشتهر نزول الآية فى حقهم، وإلاّ فالمتعارف بين الناس أن الجهر بالحقيقة بشكل معقول لا بهذه [صفحه ۳۷] الصورة المعربة عن الانحراف عنهم. هذا كله حول ما نقل عنه، وأمّا تحليل شخصيته وموقفه من الاَمانة والوثاقة، وانحرافه عن على وانحيازه إلى الخوارج وطمعه الشديد بما فى أيدى الاُمراء فحدث عنه ولا حرج، ولاَجل إيقاف القارئ على قليل مما ذكره أئمّة الجرح والتعديل فى حقه نأتى ببعض ما ذكره الإمام شمس الدين الذهبى نقّاد الفن فى كتابيه: «تذكرة الحفاظ»، و «سير أعلام النبلاء»، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب الجرح والتعديل. نقل الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفّى ۷۴۸هـ فى «سير أعلام النبلاء» هذه الكلمات فى حق عكرمة: ۱. قال أيوب: «قال عكرمة: إنّى لاَخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلّم بالكلمة فينفتح لى خمسون باباً من العلم...» ما معنى هذه الكلمة؟ وهل يقولها إنسان يملك شيئاً من العقل والوقار؟! ۲. قال ابن لهيعة: وكان يحدّث برأى نجدة الحرورى [۴۱] وأتاه، فأقام عنده ستة أشهر، ثم أتى ابن عباس فسلّم، فقال ابن عباس: قد جاء الخبيث. ۳. قال سعيد بن أبى مريم، عن أبى لهيعة، عن أبى الاَسود قال: كنت أوّل من سبّب لعكرمة الخروج إلى المغرب وذلك أنّى قدمت من مصر إلى المدينة فلقينى عكرمة وسألنى عن أهل المغرب، فأخبرته بغفلتهم، قال: فخرج إليهم وكان أوّل ما أحدث فيهم رأى الصفريّة. [۴۲] . [صفحه ۳۸] ۴. قال يحيى بن بكير: قدم عكرمة مصر ونزل هذه الدار وخرج إلى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا. ۵. قال على بن المدينى: كان عكرمة يرى رأى نجدة الحرورى. ۶. وقال أحمد بن زهير: سمعت يحيى بن معين يقول: إنّما لم يذكر مالك عكرمة ـ يعنى فى الموطأ ـ قال: لاَنّ عكرمة كان ينتحل رأى الصفريّة. ۷. وروى عمر بن قيس المكى، عن عطاء قال: كان عكرمة أباضياً. [۴۳] . ۸. وعن أبى مريم قال: كان عكرمة بيهسياً. [۴۴] . ۹. وقال إبراهيم الجوزجانى: سألت أحمد بن حنبل عن عكرمة، أكان يرى رأى الاَباضية؟ فقال: يقال: انّه

كان صفرياً، قلت: أتى البربر؟ قال: نعم، وأتى خراسان يطوف على الاُمراء يأخذ منهم. ۱۰. وقال على بن المدينى: حكى عن يعقوب الحضرمى عن جده قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر. قال: وكان يرى رأى الاباضية. [۴۵] . وقال فى «ميزان الاعتدال» [۴۶] : وقد وثقه جماعة، واعتمده البخارى، وأمّا مسلم فتجنّبه، وروى له قليلاً مقروناً بغيره، وأعرض عنه مالك، وتحايده إلّا فى حديث أو حديثين. عفان، حدثنا وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصارى، وأيوب، فذكرا عكرمة فقال يحيى: كذاب، وقال أيوب: لم يكن بكذاب. [صفحه ۳۹] عن عبد اللّه بن الحارث: دخلت على على بن عبد اللّه بن عباس فإذا عكرمة فى وثاق عند باب الحش فقلت: ألا تتقى اللّه؟ قال: إنّ هذا الخبيث يكذب على أبى. سئل محمد بن سيرين عن عكرمة؟ فقال: ما يسوَنى أن يكون من أهل الجنة ولكنّه كذّاب. هشام بن عبد اللّه المخزومى: سمعت ابن أبى ذئب يقول: رأيت عكرمة وكان غير ثقة. وعن بريد بن هارون قال: قدم عكرمة البصرة، فأتاه أيوب ويونس وسليمان التيمى، فسمع صوت غناء فقال: اسكتوا، ثم قال: قاتله اللّه لقد أجاد. وعن خالد بن أبى عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة فى وقت الموسم فقال: وددت أن بيدى حربة فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً. وعن يعقوب الحضرمى عن جده قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر. قال: ويرى رأى الأباضية، انّ عكرمة لم يدع موضعاً إلاّ خرج إليه: خراسان والشام واليمن ومصر وافريقية، كان يأتى الاُمراء فيطلب جوائزهم. وقال عبد العزيز الدراوردى: مات عكرمة وكثير عزة فى يوم واحد فما شهدهما إلّا سودان المدينة. وعن ابن المسيب أنّه قال لمولاه «برد»: لا تكذب علىّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. أفبعد هذه الكلمات المتضافرة الحاكية عن انحراف الرجل عن جادة [صفحه ۴۰] الحق، وتكفيره عامّة المسلمين، وتمنّيه أن يقتل كل من شهد الموسم، يصح الاعتماد عليه فى تفسير الذكر الحكيم؟ والأسف أنّ المفسرين نقلوا أقواله وأرسلوها ولم يلتفتوا إلى أنّ الرجل كذّاب على مولاه وعلى المسلمين، فواجب على عشاق الكتاب العزيز وطلاب التفسير، تهذيب الكتب عن أقوال وآراء ذلك الدجال ومن يحذو حذوه.

عروة بن الزبير

وأمّا عروة بن الزبير فيكفى فى عدم حجية قوله، عداوَه لعلى وانحرافه عنه، ففى هذاالصدد يقول ابن أبى الحديد: روى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهرى وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً (عليه السلام) فنالا منه، فبلغ ذلك على بن الحسين «عليه السلام»، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة فإنّ أبى حاكم أباك إلى اللّه فحكم لأبى على أبيك، وأمّا أنت يا زهرى فلو كنت بمكة لأريتك كير أبيك. وقد روى من طرق كثيرة: أنّ عروة بن الزبير كان يقول: لم يكن أحد من أصحاب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يزهو إلّا على بن أبى طالب، وأُسامة بن زيد. وروى عاصم بن أبى عامر البجلى، عن يحيى بن عروة قال: كان أبى إذا ذكر علياً نال منه، وقال لى مرّة: يا بنى واللّه ما أحجم الناس عنه إلّا طلباً للدنيا، لقد بعث إليه أُسامة بن زيد أن أبعث إلى بعطائى فواللّه انّك لتعلم انّك لو كنت فى فم أسد لدخلت معك. فكتب إليه: إنّ هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن لى مالاً بالمدينة، فأصب منه ما شئت. [صفحه ۴۱] قال يحيى: فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه. [۴۷] .

مقاتل بن سليمان

وهو رابع النقلة لنزول الآية فى نسائه ص ويكفى فى عدم حجية قوله ما نقله الذهبى فى حقه فى «سير أعلام النبلاء» قال: قال ابن عيينة: قلت لمقاتل: زعموا أنّك لم تسمع من الضحاك؟ قال: يغلق على وعليه باب فقلت فى نفسى: أجل باب المدينة. وقيل: إنّه قال: سلونى عمّا دون العرش، فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت، وسألوه لما حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدرى. قال وكيع: كان كذّاباً. وعن أبى حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل [۴۸] ومقاتل مشبّه، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة، وقال البخارى:

مقاتل لا شيء البتة. قلت: اجمعوا على تركه. [۴۹] . تجد اتفاق المتكلمين من الاَشاعرة والمعتزلة ومن قبلهم على أنّ القول بالتشبيه انّما تسرب إلى الاَوساط الاِسلامية من مقاتل، فهو الزعيم الركن بالقول [صفحه ۴۲] بأنّ له سبحانه أعضاء مثل ما للاِنسان من اليد والرجل والوجه وغير ذلك، قاتل اللّه مقاتل، كيف يفترى على اللّه سبحانه كذباً ويُفسر آياته بغير وجهها؟! وقال الذهبى أيضاً فى «ميزان الاعتدال» [۵۰] ، ما هذا تلخيصه: قال النسائى: كان مقاتل يكذب. وعن يحيى: حديثه ليس بشيء. وقال الجوزجانى: كان دجّالاً جسوراً. وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذى يوافق كتبهم، وكان يشبّه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب فى الحديث. وعن خارجة بن مصعب: لم استحل دم يهودى، ولو وجدت مقاتل بن سليمان خلوة لشققت بطنه. وقال ابن أبى حاتم: حديثه يدل على أنّه ليس بصدوق.

مشكلة السياق؟

قد تعرفت على ما هو المراد من أهل البيت فى الآية الشريفة من خلال الامعان فيها وفى ظل الروايات الواردة فى كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) غير انّهناك مشكلة باسم مشكلة السياق وهى انّالآية وردت فى ثنايا الآيات المربوطة بنساء النبى ص على وجه يكون قبلها وبعدها راجعاً إليهنّ ومع ذلك كيف يمكن أن تكون هذه الآية راجعة إلى أهل البيت بالمعنى الذى عرفت؟ وبعبارة أُخرى: إنّ آية التطهير جزء من الآية الثالثة الثلاثين، التى يرجع صدرها وذيلها إلى نساء النبى، فعندئذ كيف يصح القول بأنّها راجعة إلى [صفحه ۴۳] غيرهنّ، فإنّ وحدة السياق قاضية على أنّ الكل راجع إلى موضوع واحد، وإرجاعها إلى غير نسائه يستلزم التفكيك بين أجزاء آية واحدة، نعم لو كانت آية التطهير آية مستقلة لكان الاَمر سهلاً إذ كان الاِشكال أضعف، ولكنّها جزء من آية واحدة نزلت فى نساء النبى. والجواب: لا شك أنّ السياق من الاُمور التى يستدل بها على كشف المراد ويجعل صدر الكلام ووسطه وذيله قرينة على المراد، ووسيلة لتعيين ما أُريد منه، ولكنه حجة إذا لم يقم دليل أقوى على خلافه، فلو قام ترفع اليد عن وحدة السياق وقرينيّته. وبعبارة أُخرى: إنّ الاعتماد على السياق إنّما يتم لو لم يكن هناك نص على خلافه، وقد عرفت النصوص الدالة على خلافه. أضف إليه أنّ هناك دلائل قاطعة على أنّ آية التطهير آية مستقلة نزلت كذلك ووقعت فى ثنايا الآية المربوطة بأزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لمصلحة كان صاحب الشريعة أعرف بها. [۵۱] وإليك الدلائل الدالة على استقلالها: الدليل الاَوّل أطبقت الروايات المنتهية إلى الاَصحاب وأُمّهات المؤمنين والتابعين لهم بإحسان على نزولها مستقلة، سواء أقلنا بنزولها فى حق العترة الطاهرة أو زوجات النبى أو أصحابه، فالكل ـ مع قطع النظر عن الاختلاف فى المنزول فيه ـ [صفحه ۴۴] اتفقوا على نزولها مستقلة، وقد مضت النصوص عن الطبرى و «الدر المنثور» والصحاح ترى أنّ أُمَّ سلمة تقول: نزلت فى بيتى (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). ويروى أبو سعيد الخدرى، عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «نزلت هذه الآية فى خمسة: فىَّ وفى على وفاطمة وحسن وحسين (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)». وروت عائشة: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء على فأدخله معه، ثم قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً). إلى غير ذلك من النصوص. حتى انّ ظاهر كلام عكرمة وعروة بن الزبير نزولها مستقلة بقول السيوطى: كان عكرمة ينادى فى السوق (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نزلت فى نساء النبى. وأخرج ابن سعد عن عروة بن الزبير أنّه قال: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال: أزواج النبى، نزلت فى بيت عائشة. [۵۲] . فالموافق والمخالف اتفقا على كونها آية مستقلة إمّا نزلت فى بيت أُمّ سلمة أو بيت عائشة، وإمّا فى حق العترة أو نسائه. وعلى ذلك تسهل مخالفة السياق، والقول بنزولها فى حق العترة الطاهرة، وانّ الصدر والذيل راجعان إلى نسائه ص لا ما ورد فى ثناياها، فهو راجع إلى غيرهن. [صفحه ۴۵] ولا غرو فى أن يكون الصدر والذيل راجعين إلى موضوع وما ورد فى الاَثناء راجعاً إلى غيره فإنّ ذلك من فنون البلاغة وأساليبها، نرى نظيره فى الذكر الحكيم وكلام

البلغاء، وعليه ديدن العرب فى محاوراتهم، فربما يرد فى موضوع قبل أن يفرغ من الموضوع الذى كان يبحث عنه ثم يرجع إليه ثانياً. يقول الطبرسى: من عادة الفصحاء فى كلامهم انّهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم. [۵۳] . قال الشيخ محمد عبده: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة. [۵۴] . وروى عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «إنّ الآية من القرآن يكون أوّلها فى شىء وآخرها فى شىء». [۵۵] . ولأجل أن يقف القارئ على صحة ما قاله هؤلاء الأكابر نأتى بشاهد، فنقول: قال سبحانه ناقلاً عن «العزيز» مخاطباً زوجته: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ X يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِين). [۵۶] نرى أنّ العزيز يخاطب أوّلاً امرأته بقوله: (إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ) وقبل أن يفرغ من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)... ثم يرجع إلى الموضوع الأوّل ويخاطب زوجته بقوله: (وَاسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ)... فقوله (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ [صفحه ۴۶] هَذَا) جملة معترضة وقعت بين الخطابين، والمسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثانى أحد المتخاصمين، وكانت له صلة تامّة بالواقعة التى رفعت إلى العزيز. والضابطة الكليّة لهذا النوع من الكلام هو وجود التناسب المقتضى للعدول من الأوّل إلى الثانى، ثم منه إلى الأوّل، وهى أيضاً موجودة فى المقام، فإنّه سبحانه يخاطب نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخطابات التالية: ۱. (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين). ۲. (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن...). ۳. (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأُولى). فعند ذلك صح أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وذلك لوجهين: ۱. تعريفهنّ على جماعة بلغوا فى التورع والتقى، الذروة العليا، وفى الطهارة عن الرذائل والمساوئ، القمة. وبذلك استحقوا أن يكونوا أُسوة فى الحياة وقدوة فى مجال العمل، فيلزم عليهن أن يقتدين بهم ويستضيئنّ بضوئهم. ۲. التنبيه على أنّ حياتهنّ مقرونة بحياة أُمّة طاهرة من الرجس ومطهرة من الدنس، ولهن معهم لحمة القرابة ووصلة الحسب، واللازم عليهن التحفّظ على شؤون هذه القرابة بالابتعاد عن المعاصى والمساوئ، والتحلّى بما يرضيه سبحانه ولأجل ذلك يقول سبحانه: (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء)، وما هذا إلاّ لقرابتهن منه ص وصلتهن بأهل بيته. وهى لا تنفك عن المسؤولية الخاصة، فالانتساب للنبى الأكرم ص ولبيته الرفيع، سبب المسؤولية ومنشؤها، [صفحه ۴۷] وفى ضوء هذين الوجهين صح أن يطرح طهارة أهل البيت فى أثناء المحاورة مع نساء النبى والكلام حول شؤونهن. ولقد قام محقّقو الإمامية ببيان مناسبة العدول فى الآية، نأتى ببعض تحقيقاتهم، قال السيد القاضى التسترى: «لا يبعد أن يكون اختلاف آية التطهير مع ما قبلها على طريق الالتفات من الأزواج إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته «عليهم السلام» على معنى أنّ تأديب الأزواج وترغيبهن إلى الصلاح والسداد، من توابع إذهاب الرجس والدنس عن أهل البيت (عليهم السلام)، فالحاصل نظم الآية على هذا: انّ اللّه تعالى رغب أزواج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى العفة والصلاح بأنّه إنّما أراد فى الأزل أن يجعلكم معصومين يا أهل البيت واللائق أن يكون المنسوب إلى المعصوم عفيفاً صالحاً كما قال: (والطّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ) [۵۷] [۵۸] . وقال العلاّمة المظفر: وإنّما جعل سبحانه هذه الآية فى أثناء ذكر الأزواج وخطابهن للتنبيه على أنّه سبحانه أمرهن ونهاهن وأدّبهن إكراماً لأهل البيت وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهن وصمة، وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهن عيب، ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصى، ولذا استهل سبحانه الآيات بقوله: (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء) ضرورة أنّ هذا التميّز انّما هو للاتصال بالنبى وآله، لا لذواتهن فهن فى محل، و أهل البيت فى محل آخر، فليست الآية الكريمة إلاّ كقول القائل: يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس فتعفّفى، وتستّرى، وأطيعى اللّه تعالى، إنّما زوجك من بيت أطهار يريد اللّه حفظهم من الأدناس وصونهم عن النقائص. [۵۹] . [صفحه ۴۸] الدليل الثانى إنّ لسان الآيات الواردة حول نساء النبى لسان الإنذار والتهديد، ولسان الآية المربوطة بأهل بيته لسان المدح والثناء، فجعل الآيتين آية واحدة وإرجاع الجميع إليهن ممّا لا يقبله الذوق السليم، فأين قوله سبحانه: (يا نساء النبى من يأت منكنَّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب) من قوله: (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)؟! كما انّ لسان القرآن فى أزواج النبى، لسان المدح والانذار ويكفيك الإمعان فى آيات سورة التحريم فلاحظ. الدليل الثالث إنّ قوله

سبحانه: (إنّما يريد اللّه...) فى المصاحف جزء من الآية الثالثة والثلاثين فلو رفعناه منها لم يتطرق أىّ خلل فى نظم الآية ومضمونها وتتحصل من ضم الآية الرابعة والثلاثين إلى ما بقيت، آية تامة واضحة المضمون، مبينة المرمى منسجمة الفاصلة، مع فواصل الآيات المتقدمة عليها، وإليك تفصيل الآية فى ضمن مقاطع: ألف. (وقرن فى بيوتكن ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الاُولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن اللّه ورسوله). ب. (إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً). [۶۰] . [صفحه ۴۹] ج. (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات اللّه والحكمة إنّ اللّه كان لطيفاً خبيراً). [۶۱] . فلو رفعنا قوله: (إنّما يريد اللّه) وضممنا ما تقدم عليه بما تأخر، جاءت الآية تامة من دون حدوث خلل فى المعنى والنظم، وهذا دليل على أنّ قوله تعالى: (إنّما يريد اللّه) آية مستقلة وردت فى ضمن الآية لمصلحة ربما نشير إليها. إنّ الاَحاديث على كثرتها صريحة فى نزول الآية وحدها، ولم يرد حتى فى رواية واحدة نزولها فى ضمن آيات نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج النبى كما ينسب إلى عكرمة وعروة، فالآية لم تكن حسب النزول جزءاً من آيات نساء النبى ولا متصلة بها، وانّما وضعت إمّا بأمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عند التأليف بعد الرحلة. ويؤيده أنّ آية (وقرن فى بيوتكن) باقية على انسجامها واتصالها لو قدّر ارتفاع آية التطهير من بين جملها. [۶۲] . وليس هذا أمراً بدعاً فله نظير فى القرآن الكريم. فقد تضافرت السنّة، وروى الفريقان أن قوله سبحانه: (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الاِسْلَامَ دِيناً) [۶۳] نزلت فى غدير خم عندما نصّب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إماماً للاُمّة ووليّاً للمؤمنين، مع أنّه فى المصاحف جزء الآية الثالثة من «سورة المائدة» التى تبيّن أحكام اللّحوم، وإليك نفس الآية فى مقاطع ثلاثة: [صفحه ۵۰] ألف. (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالاَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ). [۶۴] . ب. (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاِسلام ديناً). ج. (فَمَنْ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِف لاِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). [۶۵] . فإذا رفعنا الجزء الثانى يحصل من ضم الاَوّل إلى الثالث آية تامة من دون طروء خلل فى مضمونها ونظمها، وذلك دليل على أنّ الجزء الثانى آية مستقلة وردت فى ضمن آية اُخرى بتصويب صاحب الشريعة الغراء أو بتصويب من جامعى القرآن بعد رحلته ص. أضف إلى ذلك أنّ مضمون الآية ـ أعنى: أحكام اللحوم ـ قد ورد فى آيات اُخر من دون أن تشتمل على هذه الزيادة، فهذه قرينة على أنّ ما ورد فى الاَثناء ليس من صميم الآية فى سورة المائدة، وإنّما وضع فى أثنائها بأمر من النبى الاَكرم لمصلحة عامة نشير إليها.

ما هو السر فى جعلها جزءا من آية اخرى

قد اتضح مما ذكرنا أن القرآن الكريم إنّما انتقل إلى موضوع أهل البيت [صفحه ۵۱] وخطابهم لاَجل إعلام نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّهن فى جوار هوَلاء المطهرين فيجب عليهن القيام بأداء حقوق هوَلاء العظماء، الذين ميّزهم اللّه تعالى عن غيرهم من هذه الاُمّة بالتطهير والعصمة و الاقتداء بهم فى القول والسلوك. ولكن يبقى هنا سوَال آخر، وهو أنّه إذا كانت الآية، آية مستقلة فلماذا جاءت فى المصحف جزءاً من آية اُخرى، ولم تكتب بصورة آية تامّة فى جنب الآيات الاُخرى؟ الجواب: التاريخ يطلعنا بصفحات طويلة على موقف قريش وغيرهم من أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّ مرجل الحسد ما زال يغلى والاتجاهات السلبية ضدهم كانت كالشمس فى رابعة النهار، فاقتضت الحكمة الاِلهية أن تجعل الآية فى ثنايا الآيات المتعلّقة بنساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من أجل تخفيف الحساسية ضد أهل البيت، وان كانت الحقيقة لا تخفى على من نظر إليها بعين صحيحة، وأنّ الآية تهدف إلى جماعة اُخرى غير نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما بيّناه قبل قليل. وللسيد عبد الحسين شرف الدين هنا كلام ربّما يفصل ما أجملناه فإنّه ـ قدّس اللّه سرّه ـ بعد ما أثبت أنّ قوله سبحانه: (إنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [۶۶] منزل فى حق الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) طرح سوَالاً، وهو أنّه إذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المراد من

الآيـة فلمـاذا عبر عن المفرد بلفـظ الجمع؟ فقـال: إنّ العرب قـد تعبّـر عن المفرد بلفـظ الجمع لنكتـة التعظيم حيث يسـتوجب، ثم قـال: وعنـدى فى ذلك نكتـة ألطف وأدق، وهى أنّه إنّما أُتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد بُقياً منه تعالى على كثير من الناس، فإنّ شانئى على [صـفحه ۵۲] وأعـداء بنى هـاشم وسـائر المنـافقين وأهل الحسـد والتنافس لا يطيقون أن يسـمعوها بصـيغة المفرد إذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع فى التمويه ولا ملتمس فى التضـليل فيكون منهم بسـبب يأسـهم حينئذ ما تخشـى عواقبه على الاِسـلام فجاءت الآيـة بصيغة الجمع مع كونهـا للمفرد اتقـاء من معرتهم، ثم كـانت النصوص بعـدها تترى بعبـارات مختلفـة ومقامات متعـددة وبث فيهم أمر الولاية تـدريجاً حتى أكمـل اللّه الـدين وأتمَّ النعمـة جريـاً منه ص على عـادة الحكماء فى تبليغ الناس ما يشق عليهم، ولو كانت الآيـة بالعبارة المختصة بالمفرد لجعلوا أصابعهم فى آذانهم واسـتغشوا ثيابهم وأصـرّوا واسـتكبروا اسـتكباراً، وهذه الحكمة مطردة فى كل ما جاء فى القرآن الحكيم من آيات فضل أمير المومنين وأهل بيته الطاهرين كما لا يخفى، وقد أوضحنا هذه الجمل وأقمنا عليها الشواهد القاطعة والبراهين الساطعة فى كتابينا «سبيل المومنين» و «تنزيل الآيات» والحمد للّه على الهداية والتوفيق والسلام. [۶۷] . [صفحه ۵۳]

نظريات اخرى فى تفسير اهل البيت

قد عرفت القولين المعروفين حول الآية، كما عرفت الحق الواضح منهما، فهلم معى ندرس سائر الاَقوال الشاذة التى لا تعتمد على ركن وثيق وإنّما هى آراء مختلقة لاَجل الفرار من المشاكل المتوجهة إلى ثانى القولين، ونحن نذكرها واحداً بعد آخر على نحو الاِيجاز: ۱. المراد من «البيت»هـو بيت اللّه الحرام والمراد من أهله هم المقيمون حوله. ۲. المراد من «البيت» هو مسـجد النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) والمراد من أهله هم القاطنون حوله، وكان لبيوتهم باب إلى المسـجد. ۳. المراد من تحرم عليهم الصدقـة وهم ولد أبى طالب: على، جعفر، وعقيل، وولد العباس. ۴. المراد من البيت بيت النسب والحسب، فيعم أبناء النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) ونساءه. [۶۸] وهـذه الوجوه كلّها عليلـة، أمّا الاَوّل والثانى، فلاَنّ إطلاق «أهل البيت» واسـتعماله فى أهل مكـة والمدينـة اسـتعمال بعيد لا يحمل عليه الكلام إلاّ بقرينـة قطعية، والمتبادر منه هو أهل بيت الرجل، وعلى ذلك جرى الذكر الحكيم فى موردين أحدهما فى قصة إبراهيم قال سبحـانه: (قَـالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَـاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْـلَ الْبَيْتِ). [۶۹] وثانيهما فى قصة موسـى قال سـبحانه: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْـلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ). [۷۰] . أضف إليه أنّ الآيـة واقعـة فى سـياق البحث عن نساء النبى، فصـرف الآيـة عنه ص وإرجاعها إلى من جاور بيت اللّه أو من بات حول مسـجده لا يساعـد عليه ظاهر الآيات أبـداً. [صـفحه ۵۴] ويتلوهما الثالث: فإنّ تفسـير «أهل بيت النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم)» بمن تحرم عليه الصدقـة من صـلب أبى طـالب والعبـاس تفسـير بلا شاهـد، وكأنّه حمل البيت على البيت النسبى، أضف إليه أنّ الصدقـة غير محرمـة على خصوص أبنائهمـا، بل هى محرمـة على أبنائهما وكل من كان من نسل عبـد المطلب. قـال الشـيخ الطوسـى فى الخلاـف: تحرم الصدقـة المفروضـة على بنى هـاشم من ولـد أبى طـالب العقيليين والجعافرة والعلويين، وولد العباس بن عبـد المطلب، وولـد أبى لهب، وولـد الحارث بن عبد المطلب، ولا عقب لهاشم إلاّ من هوَلاء، ولا يحرم على ولد المطلب، ونوفل، وعبـد شـمس بن عبـد مناف، قال الشافعى: تحرم الصدقـة المفروضة على هوَلاء كلهم وهم جميع ولد عبد مناف. [۷۱] . وقال بمثله أيضاً فى كتاب قسمة الصدقات: ۲-۳۵۳، المسألة ۲۶. وعلى ذلك فليس لهذه النظرية دليل سوى ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم، وقـد قـدمنا نصّه عنـد ذكر الاَحـاديث الواردة حول الآيـة. [۷۲] . وأمّـا النظريـة الرابعـة: فقـد ذهب إليهـا بعضـهم، جمعاً بين الاَحاديث المتضافرة الحاكيـة عن نزول الآيـة فى العترة الطاهرة، وسـياق الآيات الدالـة على رجوعها إلى نسائه، فحاول القائل الجمع بين الـدليلين بتفسـير الآيـة بأولاـده وأزواجه، وجعـل عليّاً أيضـاً منهم بسـبب معاشـرته وملازمته للنبى ص. قال الرازى: والاَولى أن يقال هم: أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلى معهم، لاَنّه كـان من أهـل بيته بسـبب معاشـرته بيت النـبى وملاـزمته. [۷۳] . وقـال البيضاوى: والتخصيص بهم أولاده لا يناسب ما قبل الآية وما [صفحه ۵۵] بعدها، والحديث يقتضى أنّهم من أهل البيت لا أنّ غيرهم ليس منهم. [۷۴] . وقـال المراغى: أهـل بيته من كـان ملازمـاً له من الرجال والنساء والاَزواج والاِماء والاَقارب. [۷۵] . وهذه النظرية موهونة أيضـاً

أوّلاً: انّ اللام فى «أهل البيت» ليس للجنس ولا للاستغراق، بل هى لام العهد وهى تشير إلى بيت معهود بين المتكلم والمخاطب، وهو بيت واحد، ولو صح ذلك القول لوجب أن يقول «أهل البيوت» حتى يعم الاَزواج والاَولاد وكل من يتعلّق بالنبى نسباً أو حسباً أو لعلاقة السكنيّة مثل الاِماء. والحاصل: انّه لو أُريد «بيت النبى» المادى الجسمانى لا يصح، إذ لم يكن له بيت واحد، بل كان لكل واحدة من نسائه بيت مشخص، فكان النبى صاحب البيوت لا ـ البيت الواحد. ولو أُريد منه بيت النسب، كما يقال: بيت من بيوتات «حمير» أو «ربيعة»، فلازمه التعميم إلى كل من ينتمى إلى هذا البيت بنسب أو سبب، مع أنّه كان بعض المنتمين إليه يوم نزول الآية من عبدة الوثن وأعداء النبى، فإنّ سورة الاَحزاب نزلت سنة ست من الهجرة، وقد ورد فيها زواج النبى من زينب بنت جحش، وهو حسب ما ذكره صاحب «تاريخ الخميس» من حوادث سنة الخمس، وعلى ذلك فلا تتجاوز الآيات النازلة فى نساء النبى عن هذا الحد وكان عند ذاك، بعض من ينتمى إلى النبى بالنسب مشركاً، كأبى سفيان بن عبد المطلب ابن عم رسول اللّه، وعبد اللّه بن أُمية بن المغيرة ابن عمته، وقد أسلما فى عام الفتح، وأنشد الاَوّل قوله فى إسلامه واعتذر إلى النبى ممّا كان مضى منه فقال: [صفحه ۵۶] لعمرك إنّى يوم أحمِلُ رايةً لتَغْلِبَ خَيلَ اللات، خيلُ محمد لكالمُدلج الحيرانِ أظلم ليلُهُ فهذا أوانى حين أُهدى وأهْتدى [۷۶] . ولو أُريد منه «بيت الوحى» فلازمه الاختصاص بمن بلغ من الورع والتقوى ذروتهما، حتى يصح عدّه من أهل ذلك البيت الرفيع المعنون، ومثله لا يعم كل من ينتمى بالوشائج النسبية أو الحسبية إلى هذا البيت، وإن كان فى جانب الاِيمان والعمل فى درجة نازلة تلحقه بالعاديين من المسلمين. ثانياً: قد عرفت أنّ الاِرادة الواردة فى الآية تكوينية تعرب عن تعلّق إرادته الحكيمة على عصمة أهل ذلك البيت، ومعه كيف يمكن القول بأنّ المراد كل من ينتمى إلى ذلك البيت بوشائج النسب والحسب؟! ثالثاً: انّ النظرية فى جانب مخالف للاَحاديث المتضافرة الدالة على نزول الآية فى حق العترة الطاهرة، وقد قام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بتفسيرها بوجوه مختلفة أوعزنا إليها عند البحث عن القول الاَوّل، والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين الاَوّل لمفاد كتابه الذى أرسل معه قال سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). [۷۷] . فليست وظيفة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) القراءة والتلاوة بل التبيين والتوضيح من وظائفه التى تنص الآية عليها. هذا هو موجز القول فى تفسير الآية ولا بأس بإكمال البحث بنقل بعض ما أنتجته قريحة الشعراء الاِسلاميين حول أهل البيت وفضائلهم، على وجه يعرب عن أنّ المتبادر من ذلك اللفظ فى القرون الاِسلامية لم يكن إلّا العترة الطاهرة، أعنى: فاطمة وأباها وبعلها وابنيها سلام اللّه عليهم أجمعين، وإليك نزراً يسيراً فى هذا المجال. [صفحه ۵۷]

اهل البيت فى الادب العربى

ما حقّقناه حول الآية كان أمراً واضحاً لا لبس فيه عند المسلمين فى الصدر الاَوّل فقد فهموا فى الآية الكريمة و بفضل الروايات من هم أهل البيت من دون تردّد أو تريّث، وصاغوا ما فهموه فى قوالب شعرية رائعة، نقتطف منها هذه الشذرات. قال عمرو بن العاص فى قصيدته الجلجلية المعروفة يمدح بها الاِمام على ابن أبى طالب، وفيها هذا البيت فى حق العترة الطاهرة: فوال مواليه يا ذا الجلال وعاد معادى أخ المرسل ولا تنقضوا العهد من عترتى فقاطعهم بى لم يوصل [۷۸] . و قال الكميت بن زيد الاَسدى فى قصيدة له: [صفحه ۵۸] ألم ترنى من حب آل محمد أروح وأغدو خائفاً أترقب فإن هى لم تصلح لحى سواهم فإنّ ذوى القربى أحق وأوجب يقولون لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيها بكيل وأرحب [۷۹] . قال العبدى الكوفى (المتوفّى ۱۲۰ هـ): ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم فى أبحر الغى والجهل ركبت على اسم اللّه فى سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل وأمسكت حبل اللّه وهو ولاوَهم كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبل [۸۰] . قال الاِمام الشافعى: يا أهل بيت رسول اللّه حبكم فرض من اللّه فى القرآن أنزله [صفحه ۵۹] كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصل عليكم لا صلاة له [۸۱] . وذكر ابن الصباغ المالكى فى «الفصول» لقائل: هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وانزال مناقب فى شورى وسورة هل أتى وفى سورة الاَحزاب يعرفها التالى وهم آل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم وإسجال [۸۲] . وذكر الشبلنجى فى «نور الاَبصار» عن أبى الحسن بن جبير: أحب

النبيّ المصطفى وابنَ عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهرا موالاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر للأُخرى [صفحه ۶۰] وما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنّى أرى البغضاء فى حقهم كفرا [۸۳] . وقال العبدى: يا سادتى يا بنى على يا «آل طه» و «آل صاد» من ذا يوازيكم وأنتم خلائف اللّه فى البلاد أنتم نجوم الهدى اللواتى يهدى بها اللّه كل هاد لولا هداكم إذاً ضللنا والتبس الغى بالرشاد لازلت فى حبكم أوالى عمرى وفى بغضكم أعادى وما تزودت غير حبى إياكم وهو خير زاد وذاك ذخرى الذى عليه فى عرصة الحشر اعتمادى [صفحه ۶۱] ولاكم والبراءة ممن يشنأكم اعتقادى [۸۴] . وقال دعبل الخزاعى: أتسكب دمع العين بالعبرات وبتَّ تقاسى شدّة الزفرات؟! وتبكى لآثار لال محمد فقد ضاق منك الصدر بالحسرات ألا فابكهم حقّاً وبلَّ عليهم عيوناً لريب الدهر منسكبات ولا تنس فى يوم الطفوف مصابهم وداهية من أعظم النكبات سقى اللّه أجداثاً على أرض كربلا مرابيع أمطار من المزنات وصلّى على روح الحسين حبيبه قتيلاً لدى النهرين بالفلوات قتيلاً بلا جرم فجعنا بفقده فريداً ينادى: أين أين حماتى [صفحه ۶۲] أنا الظامئ العطشان فى أرض غربة قتيلاً ومظلوماً بغير ترات وقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساءً ولّهاً خفرات فقل لابن سعد عذب اللّه روحه ستلقى عذاب النار باللعنات سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا واقنت بالآصال والغدوات على معشر ضلّوا جميعاً وضيّعوا مقال رسول اللّه بالشّبهات [۸۵] . وقال أيضاً: نطق القرآن بفضل آل محمد وولاية لعليّه لم تجحد بولاية المختار من خير الذى بعد النبى الصادق المتودد [۸۶] . [صفحه ۶۳] وقال الحمانى (المتوفّى ۳۰۱ هـ): يا آل حاميم الذين بحبهم حكم الكتاب منزَّلٌ تنزيلا كان المديح حُلى الملوك وكنتم حلل المدايح غرّةً وحجولا- بيت إذا عَدَّ المآثر أهله عدّوا النبى وثانياً جبريلا- قوم إذا اعتدلوا الحمايل أصبحوا متقسِّمين خليفة ورسولا نشأوا بآيات الكتاب فما انثنوا حتى صدرن كهولة وكهولا ثقلان لن يتفرّقا أو يطفيا بالحوض من ظمأ الصدور غليلا- وخليفتان على الأنام بقوله الحق أصدق من تكلّم قيلا فأتوا أكف الآيسين فأصبحوا ما يعدلون سوى الكتاب عديلا [۸۷] . [صفحه ۶۴] وقال العجلونى (المتوفّى ۱۱۶۲ هـ): لقد حاز آل المصطفى أشرف الفخر بنسبتهم للطاهر الطيَّب الذكر فحبهم فرض على كل مؤمن أشار إليه اللّه فى محكم الذكر ومن يدعى من غيرهم نسبة له فذلك ملعون أتى أقبح الوزر وقد خص منهم نسل زهراء الأشرف بأطراف تيجان من السندس الخضر ويُغنيهمُ عن لبس ما خصَّهم به وجوهٌ لهم أبهى من الشمس والبدر ولم يمتنع من غيرهم لبس أخضر على رأى من يعزى لا سيوط ذى الخبر وقد صححوا عن غيره حرمة الذى رآه مباحاً فاعلم الحكم بالسبر [۸۸] . وقال جرير بن عبد اللّه البجلى: فصلى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم [صفحه ۶۵] وصلى على الطهر من بعده خليفتنا القائم المدَّعْم علياً عنيت وصى النبى يجالد عنه غواة الأُمم له الفضل والسبق والمكرما ت وبيت النبوّة لا المهتضم [۸۹] . وقال الزاهى (المتوفّى ۳۵۲ هـ): يا سادتى يا آل ياسين فقط عليكم الوحى من اللّه هبط لولاكم لم يقبل الفرض ولا رحا لبحر العفو من أكرم شط أنتم ولاة العهد فى الذرِّ ومن هواهم اللّه علينا قد شرط ما أحد قايسكم بغيركم ومازج السلسل بالشرب اللمط إلاّ كمن ضاهى الجبال بالحصى أو قايس الأبحر جهلاً بالنقط [۹۰] . [صفحه ۶۶] قال أيضاً ضمن أبيات: هم آل أحمد والصيد الجحاجحة الز هر الغطارفة العلوية الغرر وقال أيضاً: يا آل أحمد ماذا كان جرمكم فكل أرواحكم بالسيف تنتزع [۹۱] . وقال الناشئ الصغير (المتوفّى ۳۶۵ هـ): بآل محمّد عرف الصواب وفى أبياتهم نزل الكتاب هم الكلمات والأسماء لاحت لآدم حين عزّ له المتاب وهم حجج الإله على البرايا بهم وبحكمهم لا يستراب إلى آخر الآبيات التى يقول فيها: يقول لقد نجوت بأهل بيت بهم يصلى لظى وبهم يثاب [صفحه ۶۷] هم النبأ العظيم وفلك نوح وباب اللّه وانقطع الخطاب [۹۲] . وقال البشنوى الكردى (المتوفّى بعد ۳۸۰ هـ): ألبِّئ ربى بالهدى متمسكا باثنى عشر بعد النبى مراقباً أبقى على البيت المطهر أهله بيوت قريش للديانة طالباً [۹۳] . وقال أيضاً: يا ناصبى بكل جهدك فاجهد إنّى علقت بحب آل محمد الطيبين الطاهرين ذوى الهدى طابوا وطاب وليهم فى المولد واليتهم وبرئت من أعدائهم فاقلل ملامك لا أباً لك أوزد فهم أمان كالنجوم وانّهم سفن النجاة من الحديث المسند [۹۴] . [صفحه ۶۸] وقال الصاحب بن عبّاد (المتوفّى ۳۸۵ هـ): أُواليكم يا آل بيت محمد فكلّكم للعلم والدين فرقد وأترك

من ناواكم وهو هتكه ينادى عليه مولد ليس يحمد [۹۵] . وقال ابن الحجاج البغدادى (المتوفّى ۳۹۱ هـ): فما وجدت شفاء تستفيد به إلاّ ابتغاءك تهجو آل ياسين كافاك ربُّك إذ أجرتك قدرته بسب أهل العلا الغرِّ الميامين إلى أن يقول: وانّ أجر ابن سعد فى استباحة آل النبوّة أجر غير ممنون [۹۶] . وقال أبو الفتح كشاجم (المتوفّى ۳۶۰ هـ) من قصيدة: له فى البكاء على الطاهرين مندوحة عن بكاء الغزل [صفحه ۶۹] فكم فيهم من هلال هوى قبيل التمام وبدر أفل هم حجج اللّه فى خلقه ويوم المعاد على من خذل ومن أنزل اللّه تفضيلهم فردَّ على اللّه ما قد نزل فجدّهم خاتم الأنبياء ويعرف ذاك جميع الملل [۹۷] . وقال أيضاً: آل النبى فضّلتم فضل النجوم الزاهرة وبهرتم أعداءكم بالمأثرات السائرة [۹۸] . وقال أبو محمد الصورى الشاعر (المتوفّى ۴۱۹ هـ): فهل ترك البين من أرتجيه من الأوّلين والآخرينا [صفحه ۷۰] سوى حب آل نبى الهدى فحبهم أمل الآملينا هم عدّتى لوفاتى هم نجاتى هم الفوز للفائزينا [۹۹] . وقال من قصيدة فى أهل البيت: بماذا ترى تحتجُّ يا آل أحمد على أحمد فيكم إذا ما استعدت وأشهر ما يروونه عنه قوله تركت كتاب اللّه فيكم وعترتى ولكن دنياهم سعت فسعوا لها فتلك التى فلّت ضميراً عن التى [۱۰۰] . وقال أيضاً من قصيدة: فلهذا أبناء أحمد أبناء على طراید الآفاق فقراء الحجاز بعد الغنى الأكبر أسرى الشام قتلى العراق [صفحه ۷۱] جانبتهم جوانب الأرض حتى خلت انّ السماء ذات انطباق ان أقصر يا آل أحمد أو أغر ق كان التقصير كالإغراق [۱۰۱] . وقال الشبراوى الشافعى فى كتابه «الاتحاف بحب الأشراف»: آل طه ومن يقل آل طه مستجيراً بجاهكم لا يرد حبكم مذهبى وعقد يقينى ليس لى مذهب سواه وعقد [۱۰۲] . وقال أيضاً فى قصيدة أُخرى: آل بيت النبى ما لى سواكم ملجأ أرتجيه للكرب فى غد لست أخشى ريب الزمان وأنتم عمدتى فى الخطوب يا آل أحمد من يضاهى فخاركم آل طه وعليكم سرادق العز ممتد [صفحه ۷۲] إلى أن يقول فى قصيدته هذه: يا إلهى ما لى سوى حب آل البيت آل النبى طه الممجد أنا عبد مقصر لست أرجو عملاً غير حب آل محمد [۱۰۳] . وقال أيضاً من قصيدة: يا كرام الأنام يا آل طه حبكم مذهبى وعقد ولائى ليس لى ملجأ سواكم وذخر أرتجيه فى شدتى ورخائى فاز من زار حيكم آل طه وجنا منكم ثمار العطاء [۱۰۴] . وقال أيضاً فى قصيدة: أنا فى عرض آل بيت نبى طهر اللّه بيتهم تطهيراً سادة أتقياء أعطاهم اللّه مقاماً ضخماً وملكاً كبيراً [صفحه ۷۳] إلى أن يقول: يا بحور الكمال يا آل طه كم مننتم وكم جبرتم كسيراً هل على غير بيتهم نزل الو حى بجبريل خادماً مأموراً هل سواكم قد أذهب اللّه عنه الرجس نصّاً فى ذكره مسطوراً [۱۰۵] . (أُولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده) [۱۰۶] .

الشيعة و آية التطهير

استدلت الشيعة عن بكرة أبيها بآية التطهير على عصمة العترة الطاهرة، وأفاض المفسرون منهم القول حول الآية وأتوا ببيانات شافية فى وجه دلالتها على عصمتهم. وهناك جماعة من العلماء قاموا بتأليف رسائل مفردة حول دلالتها وشأن نزولها، نشير إلى ما وقفنا عليه فى ما يلى: ۱. «السحاب المطير فى تفسير آية التطهير»، للسيد السعيد القاضى نور اللّه المرعشى الشهيد عام ۱۰۱۹ هـ [صفحه ۷۴] ۲. «تطهير التطهير»، تأليف الفاضل الهندى (المتوفّى عام ۱۰۳۵هـ). ۳. «شرح تطهير التطهير»، تأليف السيد عبد الباقى الحسينى كتبه شرحاً لكتاب الفاضل الهندى. ۴. «إذهاب الرجس عن حظيرة القدس»، للعلاّمة الشيخ عبد الكريم بن محمد طاهر القمى. ۵. «الصور المنطبعة»، له أيضاً فى هذا المجال. ۶. «أقطاب الدوائر»، للعلاّمة عبد الحسين بن مصطفى أحد علمائنا فى القرن الثانى عشر فرغ منه عام ۱۱۳۸ هـ وطبع عام ۱۴۰۳ هـ ۷. «تفسير آية التطهير»، تأليف الشيخ إسماعيل بن زين العابدين التبريزى الملقّب بمصباح (المتوفّى عام ۱۳۰۰ هـ). ۸. التنوير فى ترجمة رسالة «آية التطهير» باللغة الأوردية، تأليف السيد عباس الموسوى، طبع فى الهند عام ۱۳۴۱ هـ وهو ترجمة لرسالة السيد القاضى نور اللّه. ۹. «جلاء الضمير فى حل مشكلات آية التطهير»، للشيخ محمد البحرانى، طبع فى بُمباى عام ۱۳۲۵ هـ ۱۰. رسالة قيمة فى تفسير آية التطهير، للعلاّمة المحقق الشيخ لطف اللّه الصافى، طبعت عام ۱۴۰۳ هـ من منشورات دار القرآن الكريم فى قم المقدسة، وله رسالة أُخرى فى العصمة طبعت معها، حيّاه اللّه وبيّاه. ۱۱. «آية التطهير» فى جزءين، للسيد الجليل

على الأَبطحى، وقد استقصى الكلام فيها حول المأثورات الواردة فيها فى الجزء الأوّل، ودلالتها على العصمة فى الجزء الثانى. [صفحه ۷۵] ۱۲. «آية التطهير»، للشيخ محمد مهدى الآصفى وهى دراسة حول مداليل الآية الكريمة (إنّما يريد اللّه...) واختصاصها بأهل البيت (عليهم السلام) نشرتها موَسسة دار القرآن الكريم فى قم المقدسة سنة ۱۴۱۱ هـ ۱۳. «آية التطهير، روَية مبتكرة»، لآية اللّه الشيخ محمد الفاضل اللنكرانى، طبع فى إيران ۱۹۷۰ م بالفارسية. و ۱۹۸۷م بالعربيَّة. ۱۴. «آية التطهير فى الخمسة أهل الكساء»، للسيد محيى الدين الموسوى الغريفى، طبع فى النجف الأشرف ـ ۱۳۷۷ هـ - ۱۹۵۸ م. ۱۵. أخيرها ـ لا آخرها ـ ما قدمناه لكم فى هذه الصحائف لكاتب هذه السطور، عفا اللّه عنه، ورزقه شفاعة محمد وأهل بيته يوم لا ينفع مال ولا بنون. [صفحه ۷۷]

سمات أهل البيت

اشاره

قد تعرَّفت على من هم أهل البيت من خلال التعريف بالحدِّ التامّ الذى عرَّف به رسول اللّه ص أهل بيته، أهل بيت النبوّة و الرّسالة، وكأنَّ التعريف السابق كان بمنزلة التعريف بالحدّ أى التعريف بالذات. و يمكن أن نتعرف عليهم من خلال التعريف على سماتهم وخصوصيّاتهم الّتى تشبه التعريف بالرّسم والتعريف بالعرضى. و سماتهم و خصوصيّاتهم كثيرة مبثوثة فى ثنايا الآيات و الأحاديث النبويَّة، و لكن نقتصر فى المقام على ما ورد من السمات فى الذكرالحكيم. [صفحه ۷۹]

العصمة

اشاره

لقد تعرفت على ما هو المراد من أهل البيت فى الآية المباركة على وجه لم يدع لقائل كلمة، ولا لمجادل شبهة، فى أنّ المقصود منه هو العترة الطاهرة قرناء الكتاب فى كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): فحان البحث للتطرق إلى سماتهم وخصوصياتهم، وهى على قسمين: ۱. ما يستفاد من الآية الشريفة. ۲. ما يستفاد من سائر الآيات. أمّا الأوّل، فالآية ـ بعد الإمعان فيها ـ تدلّ على عصمتهم وطهارتهم من الذنوب، ويعلم ذلك من خلال دراسة أمرين: ۱. ما هو المراد من الرجس؟ ۲. هل الارادة فى الآية المباركة إرادة تكوينية أو تشريعية؟

ما هو المراد من الرجس؟

اشاره

المراد من الرجس: هو القذارة الأعم من المادية والمعنوية، وقد اتفق على ذلك أئمّة اللغة. قال ابن فارس: الرجس: أصل يدل على اختلاط، ومن هذا الباب: [صفحه ۸۰] الرجس: القذر لأنّه لطخ وخلط. [۱۰۷] . وقال ابن منظور: الرجس: القذر، وكل قذر رجس، وفى الحديث: أعوذ بك من الرجس النجس. وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعن والكفر. قال الزجّاج: الرجس فى اللغة كل ما استقذر من عمل... فبالغ اللّه فى ذم أشياء وسمّاها رجساً، وقال ابن الكلبى: رجس من عمل الشيطان أى مأثم. [۱۰۸] . وقد استعملت هذه اللفظة فى الذكر الحكيم ثمانية مرات: ووصف به الخمر والميسر والأنصاب والأزلام والكافر غير المؤمن باللّه والميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير والأوثان وقول الزور... إلى غير ذلك من الموارد التى وصفت به فى الذكر الحكيم. ونكتفى بنقل بعض الآيات قال سبحانه: (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنْصَابُ وَالاَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). [۱۰۹] . وقال سبحانه: (إِلاَّ أَن يَكُونَ

مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ). [۱۱۰] . وقال سبحانه: (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) [۱۱۱] ، إلى غير ذلك من الآيات. والمتفحص فى كلمات أئمّة أهل اللغة، والآيات الواردة فيها تلك اللفظة، [صفحه ۸۱] يصل إلى أنّها موضوعة بمعنى القذارة التى تستنفر منها النفوس، سواءً أكانت ماديـة، كما وردت فى الآيات، أم معنويـة كما هو الحال فى الكافر وعابد الوثن ووثنه. فلو وصف به العمل القبيح عرفاً أو شرعاً، فلاَجل انّ العمل القبيح يوصف بالقذارة التى تستنفرها الطباع السليمة، وعلى هذا فالمراد من الرجس فى الآيـة هى الاَعمال القبيحة عرفاً أو شرعاً، ويدل عليه قوله سبحانه بعد تلك اللفظة: (ويطَّهركُم تَطْهيراً)، فليس المراد من هذا التطهير إلاّ تطهيرهم من الرجس المعنوى الذى لا تقبله النفوس السليمة. وقد ورد نظير قوله: (ويطهركم تطهيراً) فى حق السيدة مريم «عليها السلام»، قال سبحانه: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِين). [۱۱۲] . نعم: انّ لتطهير النفوس وطهارتها مراتب ودرجات، ولا تكون جميعها مستلزمة للعصمة، وانّما الملازم لها هو الدرجة العليا، قال سبحانه: (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ). [۱۱۳] قال العلاّمة الطباطبائى: الرجس ـ بالكسر والسكون ـ صفة من الرجاسة وهى القذارة، والقذارة هيئة فى النفس توجب التجنّب والتنفّر منها، وهى تكون تارة بحسب ظاهر الشىء كرجاسة الخنزير، قال تعالى: (أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) وبحسب باطنه، أُخرى، وهى الرجاسة والقذارة المعنوية كالشرك والكفر وأثر العمل السيّء، قال تعالى: (وأمّا الّذِينَ فِى قُلُوبِهِمَ مَّرَضٌ فَزَادَتْهم رجساً إلى رِجْسِهِمْ ومَاتُوا وَهُمْ كافِرون) [۱۱۴] ، وقال: (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً [صفحه ۸۲] حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ). [۱۱۵] . وأيّاً ما كان فهو إدراك نفسانى وأثر شعورى يحدث من تعلّق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيّء وإذهاب الرجس عبارة عن إزالة كل هيئة خبيثة فى النفس تضاد حق الاعتقاد والعمل، وعند ذلك يكون إذهاب الرجس معادلاً للعصمة الاِلهية التى هى صورة علمية نفسانية، تحفظ الاِنسان من رجس باطنى الاعتقاد وسيّء العمل. [۱۱۶] .

المنفى مطلق الرجس

إذا كان المراد من الرجس فى الآية الكريمة هو الاَفعال القبيحة عرفاً أو شرعاً والمعاصى صغيرها وكبيرها، فيجب أن يقال: إنّ المنفى فى الآيـة هو عموم الرجس، وذلك لاَنّ المنفى هو جنس الرجس لا نوعه ولا صنفه، ونفى الجنس يلازم نفى الطبيعة بعامة مراتبها، ولاَجل ذلك لم يكتف سبحانه بقوله: (ليذهب عنكم الرجس) بل أكّده بقوله: (ويطهّركم تطهيراً)، فلو كان المراد نفى قسم خاص من الرجس ـ أعنى: الشرك، أو الاَوسع منه كالمعاصى الكبيرة ـ لما كان لهذه العناية وجه. والحاصل: انّ المفهوم من قول القائل لا خير فى الحياة، أو لا رجل فى الدار، هو المفهوم من قوله: ليذهب عنكم الرجس، والتفكيك بين المقامين غير مقبول. هذا هو الاَمر الاَوّل وإليك الكلام فى الاَمر الثانى: [صفحه ۸۳]

هل الارادة فى الآية تكوينية أم تشريعية؟

اشاره

إنّ انقسام إرادته سبحانه إلى تكوينية وتشريعية من الانقسامات الواضحة التى لا تحتاج إلى بسط فى القول، ومجمل القول فيها هو انّه إذا تعلّقت إرادته سبحانه على إيجاد شىء وتكوينه فى صحيفة الوجود، فهى الاِرادة التكوينية ولا تتخلّف تلك الاِرادة عن مراده، وربّما يعبّر عنها بالاَمر التكوينى قال سبحانه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون). [۱۱۷] . ففى هذا المجال يكون متعلّق الاِرادة تكوّن الشىء وتحقّقه وتجسّده، واللّه سبحانه لاَجل سعة قدرته ونفوذ إرادته لا تنفك إرادته عن مراده ولا أمره التكوينى عن متعلّقه. وأمّا إذا تعلّقت إرادته سبحانه بتشريع الاَحكام وتقنينها فى المجتمع حتى يقوم المكلّف مختاراً بواجبه، فهى إرادة تشريعية،

ففى هـذا المجـال يكون متعلّق الاِرادة تحقيقـاً هو التشـريع والتقنين، وأمّـا قيـام المكلّف فهو من غايـات التكليف، ولأجـل ذلك ربّما تترتب عليه الغاية، وربّما تنفك عنه، ولا يوجب الانفكاك خللاً فى إرادته سبحانه، لأنّه ما أراد إلاّ التشريع وقد تحقق، كما انّه ما أراد قيـام المكلّف بواجبه إلاّ ـ مختاراً، فقيامه بواجبه أو عـدم قيامه من شـعب اختياره، هـذا هو إجمال القول فى الاِرادتين، وللتفصـيل محل آخر. والقرائن التى سـتمر عليـك تـدل على أنّ الاِرادة فى الآيـة تكوينيـة لا ـ تشـريعية بمعنى انّ إرادته التكوينيـة التى تعلّقت بتكوين الأشـياء وإبـداعها فى عـالم الوجود، تعلّقت أيضـاً بإذهـاب الرجس عن أهـل البيت، وتطهيرهم من كـل رجس وقـذر، ومن كـل عمل يسـتنفر منـه، وإليـك تلـك القرائن: [صـفحه ۸۴] ۱. انّ الظـاهر مـن الآيـة هـو تعلّق إرادة خاصـة بإذهـاب الرجس عن أهـل البيت، والخصوصـية إنّما تتحقّق لو كانت الاِرادة تكوينية، إذ لو كانت تشـريعية لما اختصت بطائفة دون طائفة، لأنّ الهدف الأسـمى من بعث الأنبياء هو إبلاغ تشـريعاته ودساتيره إلى الناس عامـة لا لأُناس معيّنين، ولأجل ذلك ترى أنّه سبحانه عنـدما شرّع للمسـلمين الوضوء والغسـل بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا...) علّله بقـوله: (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [۱۱۸] خاطب سبحانه المؤمنين عامـة بـالوضوء والغسـل وعلّل تشـريعه العـام بتطهيرهم وإتمـام نعمته عليهم وهـذا بخلاـف الآيـة التى نحن بصـددها، فـإنّها خصّصت إرادة تطهيره بجمع خاص تجمعهم كلمـة «أهل البيت» وخصّصهم بالخطاب وقال: «عنكم أهل البيت» أى لا غيركم. وبالجملة فتخصـيص تعلّق الاِرادة بجمع خاص على الوجه الوارد فى الآية، يمنع من تفسير الاِرادة بالاِرادة التشريعية التى عمّت الأُمّة جميعاً. نعم لا ـ يتوهم من ذلـك انّ أهل البيت خارجون عن إطار التشـريع، بل التشـريع فى كل المجالات يعمّهم كما يعم غيرهم، ولكن هنا إرادة تكوينيـة مختصة بهم. ۲. انّ العنايـة البـارزة فى الآيـة المباركـة أقوى شاهـد على أنّ المقصود بالاِرادة، الاِرادة التكوينيـة لا التشـريعية، لوضوح أنّ تعلّق الاِرادة التشـريعية بأهل البيت لا يحتاج إلى العنايـة فى الآيـة، وإليك بيان تلك العنايـة: [صـفحه ۸۵] أ. ابتدأ سبحانه كلامـه بلفـظ الحصـر، ولا ـ معنى له إذا كـانت الاِرادة تشـريعية، لأنّهـا غير محصورة بأُناس مخصوصـين. ب. عيّـن تعالى متعلّق إرادته بصورة الاختصـاص، فقـال: (أهل البيت) أى أخصّيكم أهل البيت. ج. قـد بيّـن متعلّق إرادته بالتأكيـد، وقال بعـد قوله: (ليـذهب عنكم الرجس... ويطهركم). د. قد أكّده أيضاً بالاِتيان بمصدره بعد الفعل، وقال: (ويطهّركم تطهيراً) ليكون أوفى فى التأكيد. هـ انّه سـبحانه أتى بالمصـدر نكرة، ليـدل على الاِكبار والاِعجاب، أى تطهيراً عظيماً معجباً. و. انّ الآية فى مقام المدح والثناء، فلو كانت الاِرادة إرادة تشـريعية لما ناسب الثناء والمـدح. وعلى الجملـة: العناية البارزة فى الآية تدل بوضوح على أنّ الاِرادة هناك غير الاِرادة العامة المتعلّقة لكـل إنسان حاضـر أو باد، ولأجل ذلك فإنّ المحقّقين من المفسـرين يفسـرون الاِرادة فى المقام بالاِرادة التكوينيـة ويجيبون عن كل سؤال يطرح عنها. قال الشـيخ الطبرسـى: إنّ لفظـة (إنّما) محقّقـة لما أُثبت بعـدها، نافيـة لما لم يثبت، فإنّ قول القائل: إنّما لك عنـدى درهم، وإنّما فى الـدار زيـد، يقتضـى انّه ليس عنـده سوى الـدرهم وليس فى الـدار سوى زيد، وعلى هذا فلا تخلو الاِرادة فى الآية أن تكون هى الاِرادة المحضة التشريعية، أو الاِرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس؛ ولا يجوز الوجه الأوّل، لأنّ اللّه تعالى قد أراد من كل مكلّف هذه الاِرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأنّ هذا [صـفحه ۸۶] القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شـك وشـبهة ولا ـ مـدح فى الاِرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثانى، وفى ثبوته ثبوت عصـمة المعنيين بالآيـة من جميع القبائـح. [۱۱۹] . وقال السـيد ابن معصوم المدنى فى تقريب دلالة الآية على عصمة المعنيّين بالآية: إنّ لفظة (إنّما) محقّقة لما أُثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإنّ قول القائل إنّما لك عنـدى درهم، وإنّما فى الـدار زيـد، يقتضـى انّه ليس له عنده سوى درهم وليس فى الدار سوى زيـد، إذا تقرر هـذا فلا ـ تخلو الاِرادة فى الآيـة أن تكون هى الاِرادة المطلقـة أو الاِرادة التى يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، فلا يجوز الوجه الأوّل، لأنّ اللّه تعالى قـد أراد من كل مكلّف هـذه الاِرادة المطلقـة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق. وهـذا القول يقتضـى المـدح والتعظيم لهم بغير شك ولا شـبهة ولا مـدح فى الاِرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثانى، وفى ثبوته ثبوت عصـمة المعنيّين بالآيـة من جميع القبائـح، لأنّ اللام فى الرجس للجنس، ونفى الماهيـة نفى لكـل جزئياتها، وقـد علمنا أنّ من عـدا ما ذكرناه من أهل

البيت حين نزول الآيـة غير مقطوع على عصـمته، فثبت أنّ الآيـة مختصة بهم، لبطلان تعلّقها بغيرهم. وما اعتمدوا عليه من أنّ صدر الآيـة وما بعـدها فى الاَزواج، فجوابه انّ من عرف عادة العرب العرباء فى كلامهم واسـلوب البلغاء والفصـحاء فى خطابهم لا يـذهب عليه انّ هـذا من بـاب الاسـتطراد، وهو خروج المتكلم من غرضه الاَوّل إلى غرض آخر ثم عوده إلى غرضه الاَوّل، واتفقت كلمـة أهل البيان على أنّ ذلك من محاسن البـديع فى الكلام نثراً ونظماً والقرآن المجيد وخطب البلغاء وأشـعارهم مملوءة من ذلك. [۱۲۰] . [صفحه ۸۷]

اسئلة و اجوبة

اشاره

قـد تعرفت على مفـاد الآيـة: واتضـح لـديك انّ القرائن الداخليـة فى نفس الآيـة تـدل بوضوح على أنّ الاِرادة الواردة فى الآيـة إرادة تكوينيـة تعلّقت بطهارة أهل البيت وإذهاب الرجس عنهم، ويكون وزان الاِرادة فيها وزان الاِرادة الواردة فى الآيات التالية ونظائرها: ۱. (وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُـنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِى الاَـرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ). [۱۲۱] . ۲. (وَيُرِيـدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَـاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَـافِرِينَ). [۱۲۲] . ۳. (وَمَـنْ يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِـكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَـيْئاً أُولَئِـكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُـوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ). [۱۲۳] . وعند ذلك تطرح فى المقام أسئلة لا بد من الاِجابة عليها:

هل الارادة التشريعية تتعلق بفعل الغير؟

هل يصـح تعريف الاِرادة التشـريعية بالاِرادة المتعلّقة بفعل الغير، كتكليفه سـبحانه عباده بالصـلاة والزكاة، وتكليف الآمر البشـرى غيره بالسـقى والرعى؟ وإذا كـانت الاِرادة التشـريعية عبـارة عمّـا ذكر، فتكون الاِرادة التكوينيـة عبارة عن تعلّقها بفعل نفس المريـد كتعلّق إرادته سـبحانه بخلـق السـماوات والاَـرض، وإرادة غيره بالاَكـل والشـرب؟ الجـواب: انّ تعريف الاِرادة التكوينيـة بمـا ذكر وإن كـان صحيحاً، لكن [صـفحه ۸۸] تعريف التشـريعية منهـا بتعلّقهـا بفعل الغير غير صـحيح قطعاً، وذلك لاَنّ الاِرادة لا تتعلّق إلاّ بأمر اختيارى وهو فعـل المريـد، وأمّـا فعل الشـخص الآخر، فهو بما انّه خارج عن اختيار المريـد، لا تتعلّق به إرادته، وكيف يصـح لشـخص أن يريد صـدور فعل من الغير مع أنّ صـدوره منه تابع لاِرادة ذلك الغير وليس تابعاً لاِرادة المريد الآخر؟ وإن شـئت قلت: إنّ زمام فعل الفاعل المختار بيد الفاعل المباشـر، فلو أراده لقام به. ولو لم يرده لما قام به وليس زمامه بيد الآمر، حتى يريده منه جداً ولا تصـيّره إرادة الآمر مسـلوب الاختيار ولا تجعله مضـطراً مقهوراً مسـخراً فى مقابل إرادة الآمر، لاَنّ المفروض انّ الفاعل بعد، فاعل مختار، ومن هذا شأنه لا تتعلّق بفعله، إرادة الغير الجديـة، لاَنّ معنى تعلّقها بفعل الغير أنّه فى اختيار المريد ومتناوله، ويوجد بإرادته وينتفى بانتفائه، مع أنّه ليس كـذلك وإنّمـا يوجـد بـإرادة الفاعـل المباشـر وينتفى بانتفـاء إرادته، ولا ملازمـة بين إرادة الآمر وإرادة المأمور ولاَجل ذلك كثيراً ما يعصـى ويخالف. وفى الجملـة: ليست ماهيـة الاِرادة التشـريعية أمراً يخالف ماهية الاِرادة التكوينية، بل الكل من واد واحد تختلفان فى الاسـم وتتحـدان فى الماهيـة، والجميع يتعلّق بفعل نفس المريـد، غير انّ المراد فيهما مختلف حسب الاعتبار، وهو فى التكوينيـة، عبارة عن الفعـل الخارجى الصادر عنه مباشـرة، كالتكوين والتصـنيع، سواء كان المريـد هو اللّه سـبحانه أم أحـد عباده القادرين على الاَفعال الخارجيـة باقـداره، ولكنّه فى التشـريعية عبارة عن نفس الطلب والاِنشاء بالاِيماء والاِشارة واللفظ والكتابة، وهو أيضاً فعل المريد الواقع فى اختياره، وأمّا قيام الغير بالمطلوب فهو من غايات إرادة المريد ومقاصده وأغراضه، وهى تترتب [صـفحه ۸۹] تارة، وتنفك أُخرى،

فلو تكونت فى نفسه مبادىَ الخوف والرجال لقام به وإلّا فلا يقوم به ولا تتحقّق الغايـة لكن تتم عليه الحجـة. وعلى ذلك فما اشتهر على الألسن من أنّ الإرادة التشريعية عبارة عن تعلّق إرادة الآمر بفعل الغير تسامح فى التعبير ومن باب إقامة الغاية مكان ذيها. والذى يوضح ذلك: انّ إرادته سبحانه لا تنفك عن مراده، ومن المستحيل أن يخاطب شيئاً بـ«كن» ولا يتحقّق، ولسعة قدرته وعموميتها، قال سبحانه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [۱۲۴] ، فلو تعلّقت إرادته بفعل العباد كالصلاة والصوم لما انفك عنهم ولو تعلّقت على إيمانهم وهدايتهم، لما وجد على أديم الأرض عاص ومتمرد، قال سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [۱۲۵] ، وتكون نتيجة ذلك كونهم مجبورين فى قبول الهداية، ومضطرين إلى الطاعة، فلا يقام لمثلها وزن ولا قيمة، وهذا يعرب بوضوح عن أنّ متعلّق إرادته فى مجال التشريع هو فعل نفس المشرع وهو التشريع، وهو بعد غير منفك عن إرادته، موجود معها.

هل الارادة التكوينية توجب سلب الاختيار؟

لو كانت الإرادة فى المقام إرادة تكوينية فبما انّ إرادته سبحانه لا تتخلّف عن المراد فلازمها هنا كون طهارتهم وابتعادهم عن الرجس أمراً جبرياً لا يتخلّف، وهذا لا يعد فضيلة وثناء لأهل البيت مع أنّ الآية بصدد الثناء عليهم. وقد أجاب عنه المحقّقون على وجه الإجمال وقالوا: إنّ القدرة والتمكّن من فعل المعصية ثابت للمعصوم، والعصمة مانع شرعى، ولا منافاة بين عدم القدرة الشرعية والقدرة الذاتية، وهذا الجواب بإجماله كاف لأهل التحقيق ولكن [صفحه ۹۰] يحتاج إلى إيضاح، فنقول: إنّ مشكلة الجبر تنحل بالتعرّف على كيفية تعلّق إرادته سبحانه بأفعال العباد، والإمعان فى هذا الموضوع يكفى لحل بعض المشاكل المطروحة فى مسألة الجبر والاختيار. وبعبارة أُخرى: هل تعلّقت إرادته سبحانه بصدور أفعال العباد عنهم باختيارهم وإرادتهم، أم تعلّقت بصدورها منهم مطلقاً وإن لم تكن مسبوقة باختيارهم وإرادتهم، فالجبر لازم القول الثانى، والاختيار نتيجة القول الأوّل، والحق هو القول الأوّل فنقول فى توضيحه: إنّ لازم التوحيد فى الفاعلية والخالقية ـ كما هو منصوص الآيات ومقتضى البراهين ـ هو انّ كل ما يقع فى صفحة الوجود سواء كان فعلاً للعباد أم لغيرهم لا يخرج عن إطار الإرادة التكوينية للّه سبحانه، ولا يقع شىء فى الكون إلّا بإرادته وإذنه سبحانه، قال تعالى: (مَا قَطَعْتُمْ مِن لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللّهِ) [۱۲۶] ، وهذه الآية وغيرها تدلّ بصراحة على أنّ أفعال العباد حلالها وحرامها غير خارجة عن إطار الإرادة التكوينية للّه وإلّا لزم أن يكون الإنسان أو الفواعل الأُخر مستقلة فى الفعل والتأثير، وهو يستلزم الاستقلال فى الذات، وهو عين الشرك ونفى التوحيد فى الأفعال والخالقية. ومع ذلك فليس العباد مجبورين فى أفعالهم وتصرفاتهم، لأنّ إرادته سبحانه وإن تعلّقت بأفعالهم لكن إرادته سبحانه متعلّقة بأفعالهم بتوسط إرادتهم الخاصة وفى طول مشيئتهم، وبذلك صح أن يقال لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين. [صفحه ۹۱] وعلى ذلك فاللّه سبحانه وإن أراد طهارتهم عن الذنوب بالإرادة التكوينية ولكن تلك الإرادة تعلّقت بها، لما علم سبحانه انّهم بما زودوا من إمكانات ذاتية ومواهب مكتسبة نتيجة تربيتهم وفق مبادىَ الإسلام، لا يريدون إلّا ما شرّع لهم سبحانه من أحكام، فهم لا يشاءون إلّا ما يشاء اللّه، وعند ذلك صح له سبحانه أن يخبر بأنّه أراد تكويناً إذهاب الرجس عنهم، لأنّهم (عليهم السلام) ما داموا لا يريدون لأنفسهم إلّا الجرى على وفق الشرع لا يفاض عليهم إلّا هذا النوع من الوصف. وحصيلة الكلام: انّ مبنى الإشكال هو الغفلة عن كيفية تعلّق إرادته سبحانه بأفعال العباد حيث توهّم المستشكل: أوّلاً: انّ أفعال العباد خارجة عن إطار الإرادة التكوينية للّه سبحانه، وغفل عن أنّ هذا النوع من الاعتقاد يساوق الشرك ويصادم التوحيد. وثانياً: انّ سبق الإرادة التكوينية على أفعال العباد يستلزم سلب الاختيار عنهم، وغفل عن أنّ إرادته سبحانه انّما تتعلّق بتوسط إرادة العباد واختيارهم، فهم إذا أرادوا لأنفسهم شيئاً، فاللّه سبحانه يريد ذلك الشىء لهم تكويناً، وليس فى ذلك أيّة رائحة للجبر، بل هو الأمر بين الأمرين. وعندئذ يكون المراد من تطهيرهم ـ بعد تجهيزهم بإدراك الحق فى الاعتقاد والعمل، وإعطائهم البصيرة الكاملة

لمعرفة الحق فى مجال الاعتقاد والعمل ـ تعلّق إرادته التكوينية بطهارتهم من الذنوب، لأجل تعلّق إرادتهم بذلك، فقد تعلّقت إرادته سبحانه بتنزيههم عن طريق إرادتهم واختيارهم، وأين هذا من الجبر؟ تفسير آخر للإرادة بالتكوينية ما ذكرناه فى كيفية تعلّق إرادته سبحانه بأفعال العباد، جواب عام سار فى [صفحه ۹۲] جميع الموارد ورافع للإشكال فى مجال الجبر، وانّ من أعضل الموارد فى الجبر والاختيار، هى تحليل كيفية تعلّق إرادته بأفعال العباد وانّه: هل يوجب الجبر ويسلب الاختيار، باعتبار انّ إرادته لا تنفك عن المراد، أم لا؟ لأنّ إرادته تعلّقت بصدور أفعالهم عن أنفسهم عن مبادئها المكونة فيهم وهى إرادتهم واختيارهم، فلو صدرت عنهم بلا هذه الخصوصية لزم انفكاك إرادته عن مراده. ولمّا استشكل هذا المطلب على بعضهم انصرفوا إلى إخراج أفعال العباد عن إطار إرادته سبحانه، وانّما تتعلّق بالكائنات دون أفعالهم، وهو كما ترى، لأنّه يستلزم تحقّق شىء فى صحيفة الوجود بغير إذنه وإرادته، مع أنّ مقتضى التوحيد فى الخالقية انتهاء كل ما فى عالم الإمكان إلى وجوده وخالقيته، وبالتالى إلى إرادته، فإخراج أفعال العباد عن مجال إرادة اللّه، يخالف الأُسس التوحيدية التى جاء بها القرآن ودعمها العقل. إلّا أنّ فى مسألة العصمة وكيفية تعلّق إرادته تعالى بعصمة المعصوم تحليلاً آخر يختص بهذا المقام ولا يتعدّاه. وحاصل هذا التحليل يتوقف على معرفة كيفية العصمة وحقيقتها، فنقول: إنّ حقيقة العصمة ترجع إلى الدرجة العليا من التقوى، بمعنى انّ التقوى إذا بلغت قمتها تعصم الإنسان عن اقتراف الذنب وجميع القبائح. وإن شئت قلت: العصمة نتيجة العلم القطعى الثابت والعرفان بعواقب المعصية علماً يصد الإنسان عن اجتراح المعاصى واقتراف المآثم، كالإنسان الواقف أمام الأسلاك التى يجرى فيها التيار الكهربائى، فانّه لا يقدم بنفسه على إمساكها. [صفحه ۹۳] وبعبارة ثالثة: العصمة: الاستشعار بعظمة الرب وكماله وجلاله استشعاراً منقطع النظير حيث يحدث فى المستشعر التفانى فى الحق، والعشق لجماله، وكماله، بحيث لا يستبدل برضاه شيئاً. فإذا كانت حقيقة العصمة نفس هذه الحقائق أو قريباً منها، فليس اتصاف الإنسان بهذه الحقائق موجباً للجبر وسالباً للاختيار، بل المعصوم مع هذه المواهب الإلهية قادر على اقتراف المعاصى وارتكاب الخطايا غير انّه لأجل حصوله على الدرجة العليا من التقوى، والعلم القطعى بآثار المعاصى والاستشعار المنقطع النظير بعظمة الخالق، يختار الطاعة وترك المعصية مع القدرة على خلاف ذلك، فحاله كالوالد العطوف لا يقدم على قتل ولده ولو أُعطيت له الكنوز الكثيرة. إنّ هذه الحقائق الموهوبة للمعصوم أشبه بحبل يلقى إلى الغارق فى البحر والساقط فى البئر حتى يتمسك به وينجى نفسه، فلا شك انّ العاقل يتمسّك به دائماً وينجى نفسه، ولكن هذا العمل لا يخالف قدرته على ترك التمسك به وإلقاء نفسه فى مهاوى الهلكة. فهذه الحقائق النفسانية الموهوبة ليست إلّا أسباباً لترك العصيان ومقتضيات للطاعات، ومعدّات لقرب العبد من ربّه، ومع ذلك تتوسط بينها وبين فعل العبد من طاعة أو عصيان، إرادته واختياره، فليست هذه المواهب عللاً تامة لتوجه العبد إلى جانب واحد وانحيازه عن جانب آخر، بل هى أسباب مقربة ومعدات للإرادة، ومع ذلك كله فاختيار المعصوم وإرادته باقيان على حالهما. فمعنى تعلّق إرادته سبحانه بعصمتهم ليس تعلّقها بالطاعة وترك العصيان، بل معناه تعلّق إرادته التكوينية بإفاضة هذه المواهب عليهم وجعلها فى مكامن [صفحه ۹۴] نفوسهم وتحليتهم بهذه الحلية الإلهية، ولكن هذا الجعل والتحلية لا يهدف إلى كونهم مكتوفى الأيدى أمام التكاليف ومسوقين إلى جانب واحد، فالاشتباه فى المقام حصل فى تعيين ما هو المفاض من اللّه سبحانه على هذه الشخصيات فتخيل: «انّ المفاض هو العصمة المفسرة بترك المعصية ونفس الطاعة» غفلة عن أنّ المفاض هو هذه الكيفيات والصفات العليا النفسانية عليهم، وهى توجد استعداداً فى النفس بترك العصيان واختيار الطاعة مع القدرة على الخلاف. نعم: لو كان هناك جبر، فالجبر فى تحليتهم بهذه المواهب والعطايا الإلهية، ولكنّهم معها مختارون فى التوجه، لأى طرف أرادوا، وإن كانوا لا يشاءون إلّا الطاعة وترك المعصية. ما هو الوجه لتفسير الإرادة بالتشريعية؟ ثمّ إنّ الجمهور لمّا ذهبوا إلى كون الإرادة تشريعية احتالوا فى توجيهها يقول المفسر المعاصر سيد قطب فى هذا الصدد: إنّه سبحانه يجعل تلك الأوامر ـ الأوامر الواقعة قبل الآية من قوله: (وقرن... ولا تبرجن) ـ وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت، فالتطهير وإذهاب الرجس يتم بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم ويحقّقونها فى واقع الحياة العملى... ويختم هذه التوجيهات لنساء النبى بمثل ما بداها، بتذكيرهنّ بعلو مكانتهنّ وامتيازهنّ على النساء بمكانتهنّ من رسول اللّه وبما أنعم اللّه عليهنّ فجعل بيوتهنّ مهبط

القرآن ومنزل الحكمة وتشرف النور والهدى والإيمان، وانّه لحظ عظيم يكفى التذكّر به لتحس النفس جلالة قدره ولطيف صنع اللّه فيه وجزالة النعمة التى لا يعد لها نعيم. [۱۲۷] . [صفحه ۹۵] وحاصل ما ذكره مبنى على نزول القرآن فى مورد نساء النبى، وانّه سبحانه علّل خطاباته لهنّ بأنّه يريد من هذه التكاليف إذهاب الرجس عنهنّ، ويكون المعنى انّ التشديد فى التكاليف وتضعيف الثواب والعقاب ليس لانتفاع اللّه سبحانه به، بل لإذهاب الرجس عنكنّ وتطهيركنّ. ولا يخفى انّ ما ورد فى الآيات من الاَحكام ليست أحكاماً خاصة بنساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذا قوله سبحانه قبل آية التطهير: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ). [۱۲۸] . وهذا قوله سبحانه بعد الآية: (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات اللّه والحكمة...) كلّها أحكام عامة لنساء المسلمين، فاللّه سبحانه بهذه التكاليف يريد أن يطهر الكل وإذهاب الرجس عن عموم النساء، لا عن زوجات النبى خاصة، وعندئذ لا وجه لتخصيصهنّ بالخطاب بالعناية التى عرفت. وإنّما ذهب بعض الجمهور إلى ما ذهب، لاَجل انّهم تصوّروا نزول الآية فى حق نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاحتالوا لتفسير الإرادة بما ذكره سيد قطب ونظراوَه، وانّما ذهبوا إلى ذلك بزعمهم اتصال الآية بما قبلها من الآيات، مع أنّه سيوافيك انّ الآية آية التطهير آية مستقلة لا صلة لها بما قبلها ولا ما بعدها، وانّما وضعت فى هذا الموضع لمصلحة خاصة سنشير إليها، والاَحاديث بكثرتها البالغة ناصة على نزول الآية وحدها، ولم يرد نزولها فى ضمن آيات نساء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا ذكره أحد حتى أنّ القائل باختصاص الآية بأزواج النبى ينسب القول إلى عكرمة وعروة لا إلى الرواية. فالآية لم تكن بحسب النزول من آيات النساء، ولا متصلة بها، وستوافيك [صفحه ۹۶] الروايات الكثيرة الواردة فى هذا المضمار.

هل العصمة الموهوبة مفخرة؟

وهذا سوَال ثالث يتردد فى المقام وفى غيره، وقد طرحناه عند البحث عن العصمة على وجه الإطلاق ونطرحه هنا بشكل آخر، وهو انّ عصمة أهل البيت لو كانت أمراً موهوباً من اللّه سبحانه كيف يمكن أن تعد مفخرة لاَهله؟ والإجابة عن هذا السوَال واضحة بعد الوقوف على معنى العصمة الموهوبة لهم، وقد عرفت أنّ المراد من هبتها لهم هو إعطاء المقتضيات والمعدات لهم التى لا تسلب الاختيار عنهم وهم بعد قادرون على الطاعة والعصيان والنقض والإبرام، والسائل تخيل انّ العصمة الموهوبة هى نفس ترك العصيان والمخالفة، فزعم أنّ شيئاً مثلها لا يعد فخراً ولا يوجب ثناءً، وقد أوضحنا هذا فى السوَال السابق، فراجع.

هل الآية تدل على فعلية التطهير؟

وربّما يقال: إنّ أقصى ما تدل عليه الآية هو إخباره سبحانه عن أنّه يريد إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم، وليس فى الآية ما يدل على تحقّق هذه الإرادة بالفعل، وانّها صدرت منه سبحانه، مع أنّ القائلين بعصمة أهل البيت يذهبون بدلالتها على اتصافهم بالعصمة، وفى هذا الصدد ينقل الشيخ زين الدين البياضى العاملى إشكالاً عن المخالف ويقول: (يريد) لفظ مستقبل، فلا دليل على وقوعه. [۱۲۹] . [صفحه ۹۷] ولا يخفى أنّ هذا الإشكال نشأ من اتخاذ موقف خاص بالنسبة إلى أهل البيت بشهادة انّ هذه اللفظة وردت فى كثير من الآيات مع أنّه ما خطر ببال أحد مثل هذا الإشكال قال سبحانه: (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) [۱۳۰] ، وقال: (وَاللّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) [۱۳۱] ، وقال: (يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) [۱۳۲] ، وقال: (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) [۱۳۳] ، أضف إلى ذلك انّ هناك قرينة واضحة على تحقّق الإرادة بشهادة انّ الآية فى مقام المدح والثناء. وأمّا الإتيان بصيغة المستقبل والعدول عن الماضى، فهو لاَجل ظهور فعل المستقبل فى الدوام، وهو سبحانه يريد إفادة دوام هذه الإرادة واستمرارها مدى الاَيام والسنين.

هل الاذهاب يستلزم الثبوت؟

خلاصة هذا السوَال ترجع إلى أنّ الإِذهاب يتعلّق بشيء موجود، فعلى ذلك يستلزم أن يكون هناك رجس موجود أذهبه اللّه وطهرهم منه، وهذا يضاد مقالة أهل العصمة، ولكن السائل أو المعترض غفل عن أنّ هذه التراكيب كما تستعمل فى إذهاب الشيء الموجود، كذلك تستعمل فيما إذا لم يكن موجوداً، ولكن كانت هناك مقتضيات ومعدات له حسب الطبيعة الإِنسانية وإن لم يكن موجوداً بالفعل كقول الإِنسان لغيره: أذهبَ اللّه عنك كل مرض، ولم يكن حاصلاً له، ولكن كانت بعض المعدات للمرض موجودة. [صفحه ۹۸] وفى المقام نزيد توضيحاً: انّ الإِنسان حسب الطبيعة الاَوّلية مجهّز بالغرائز والميول العادية المتجاوزة عن الحدود، ولم يشذ أهل البيت عنها ولم تكن لهم فى العالم الجسمانى خلقة خاصة بهم، فكانت هناك أرضية صالحة للتعدى والطغيان، فلمّا جهّزوا بهذه الغرائز أوّلاً، ثم بالعصمة ـ بالمعنى الذى عرفت ـ ثانياً صح أن يقال: إنّه سبحانه أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً من العصيان. وهذه الاَسئلة وأشباهُها لا تحتاج إلى البسط فى المقال، ولاَجل ذلك نطوى الكلام عنها. [صفحه ۹۹]

المحبة فى قلوب المومنين

إنّ الإِيمان باللّه و العمل الصالح يُورث محبَّة فى قلوب الناس، إذ للإِيمان أثر بالغ فى القيام بحقوق اللّه أوّلاً، وحقوق الناس ثانياً، لا سيَّما إذا كان العمل الصالح نافعاً لهم، و لذلك استقطب المؤمنون حُبَّ النّاس، لدورهم الفعّال فى إصلاح المجتمع الإِنسانى. وهذا أمر ملموس لكلّ النّاس، وإليه يشير قوله سبحانه: (إِنَّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمن وُداً). [۱۳۴] وبما أنّ الاَنبياء بلغوا قمَّة الإِيمان كما بلغوا فى العمل الصالح ذروته، نرى أنّ لهم منزلة كبيرة فى قلوب الناس لا يضاهيها شيء، لاَنّهم صرفوا أعمارهم فى سبيل إصلاح أُمور الناس وإرشادهم إلى مافيه الخير و الرشاد. هذا حال الاَنبياء ويعقبهم الاَوصياء والاَولياء والصلحاء. أخرج أبو إسحاق السعدوى فى تفسيره باسناده عن البراء بن عازب، قال: [صفحه ۱۰۰] قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى: «اللّهم اجعل لى عندك عهداً، واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة»، فأنزل اللّه تعالى الآية المذكورة آنفاً. إنّ أهل البيت (عليهم السلام) لاَجل انتسابهم إلى البيت النبوى الرفيع حازوا مودة الناس واحترامهم بكلّ وجودهم. وقد أُشير إلى ذلك فى آثارهم وكلماتهم. روى معاوية بن عمّار عن الإِمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ حبّ على (عليه السلام) قُذف فى قلوب المؤمنين،فلا يُحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق،وانّ حبّ الحسن والحسين (عليهما السلام) قذف فى قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين فلا ترى لهم ذامّاً»، ودعا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين (عليهما السلام) قرب موته فقرّبهما وشمّهما وجعل يرشفهما وعيناه تهملان.» [۱۳۵] . وقد تعلقت مشيئته سبحانه على إلقاء محبتهم فى قلوب المؤمنين الصالحين، حتى كانت الصحابة يميّزون المؤمن عن المنافق بحبّ على أو بغضه. روى أبو سعيد الخدرى، قال: إن كنّا نعرف المنافقين نحن معشرَ الاَنصار ببغضهم علىّ بن أبي طالب (عليه السلام). [۱۳۶] . وقد تضافر عن على أمير المؤمنين (عليه السلام) انّه قال: «واللّه فلق الحبة وبرأ النسمة، انّه لعهد النبى الاُمّى إلىّ: انّه لا يحبنى إلاّ مؤمن ولا يبغضنى إلاّمنافق». [۱۳۷] . واللّه انّه ممّا عهد إلىَّ رسول اللّهص انَّه لا يبغضنى إلاّ منافق و لا يُحبّنى إلاّ [صفحه ۱۰۱] مؤمن. [۱۳۸] . و قد أعرب عن ذلك الإِمام على بن الحسين (عليهما السلام) فى خطبته فى جامع دمشق، عند ما صعد المنبر وعرَّف نفسه فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبة أبكى منها العيون، و أوجل منها القلوب، ثمّ قال: «أيّها الناس أُعطينا ستّاً و فُضِّلنا بسبع، أعطينا: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة،والشجاعة، والمحبة فى قلوب المؤمنين». [۱۳۹] . و لا عجب فى أنّه تبارك و تعالى سمّاهم كوثراً أى الخير الكثير، وقال: (إِنّا أَعْطَيْناكَ الكَوثر...) قال الرازى: الكوثر أولاده، لاَنّ هذه السورة إنّما نزلت على من عابه (عليه السلام) بعدم الاَولاد،فالمعنى انّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّالزمان فانظر

كم قتل من أهل البيت (عليهم السلام) والعالم ممتلوَ منهم ولم يبق من بنى أَمية فى الدنيا أحد يعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيها من الاَكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم والرضا (عليهم السلام). [۱۴۰] . إنّ محبة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) للحسين (عليه السلام) لم تكن محبة نابعة من حبه لنسَبه بل كان واقفاً على ما يبلغ إليه ولده الحسين (عليه السلام) فى الفضل والكمال والشهادة فى سبيله، ونجاة الاُمّة من مخالب الظلم، والثورة على الظلم والطغيان وهناك كلام للعلاّمة المجلسى يقول: إنّ محبة المقربين لاَولادهم وأقربائهم وأحبّائهم ليست من جهة الدواعى [صفحه ۱۰۲] النفسانية والشهوات البشرية، بل تجرّدوا عن جميع ذلك و أخلصوا حُبَّهم، و وُدَّهم للّه. و حُبّهم لغير اللّه إنّما يرجع إلى حبهم له، ولذا لم يحُبَّ يعقوب من سائر أولاده مثل ماأحب يوسف (عليه السلام) منهم، و لجهلهم بسبب حبه له نسبوه إلى الضلال، و قالوا: نحن عصبة، ونحن أحقّ بأن نكون محبوبين له، لاَنّا أقوياء على تمشية ما يريده من اُمور الدنيا، ففرط حبّه يوسف إنّما كان لحب اللّه تعالى له واصطفائه إيّاه فمحبوب المحبوب محبوب. [۱۴۱] . [صفحه ۱۰۳]

استجابة دعائهم

الابتهال إلى اللّه وطلب الخير منه أو طلب دفع الشرِّ ومغفرة الذنوب أمر مرغوب، يقوم به الاِنسان تارة بنفسه، واُخرى يتوصل إليه بدعاءالغير. واستجابة الدعاء رهن خرق الحجب و الوصول إليه سبحانه، حتى يكون الدعاء مصداقاً لقوله سبحانه: (اُدْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [۱۴۲] وليس كلّدعاء مستجاباً و صاعداً إليه سبحانه، فانّ لاستجابة الدعاء شروطاً مختلفة قلّما تجتمع فى دعاء الاِنسان العادى. نعم هناك اُناس مطهرون من الذنوب يكون دعاوَهم صاعداً إلى اللّه سبحانه و مستجاباً قطعاً ولذلك حثَّ سبحانه المسلمين على التشرّف بحضرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و طلب الاستغفار منه، قال سبحانه:(وَلَو انّهُمْ إذ ظَلَمُوا أنفسهُمْ جاءُوكَ فاستغْفروا اللّه وَاسْتَغْفر لَهُمُ الرَّسُول لَوَجدوا اللّه تَوّاباً رَحيماً). [۱۴۳] . وقال سبحانه: (وَإذا قيلَ لَهُمْ تَعالَوا يَسْتَغْفِر لَكُمْ رَسُول اللّه لَوّوا رُوَوسهُمْ [صفحه ۱۰۴] (وَرأيتهم يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ). [۱۴۴] . ولذلك طلب أبناء يعقوب أباهم أن يستغفر فى حقّهم (قالُوا يا أَبانا استَغْفِر لَنا ذُنُوبنا إنّاكُنّا خاطِئين). [۱۴۵] . ويظهر ممّا جرى بين النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و وفد نجران من المحاجَّة والمباهلة انّأهل البيت إذ أمَّنوا لدعاء النبيص يُستجاب دعاءه، فقد وفد نصارى نجران على الرسول وطلبوا منه المحاجَّة، فحاجَّهم الرسولص ببرهان عقلى تشير إليه الآية المباركة:(إنَّ مَثل عيسى عِنْدَاللّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍثُمَّ قال لَهُ كُنْ فَيَكُون). [۱۴۶] . فقد قارعهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا البيان البليغ الذى لا يرتاب فيه ذو مريةٍ، حيث كانوا نصارى نجران يحتجون ببنوة المسيح بولادته بلا أب فوافاهم الجواب: «بأنّ مثل المسيح كمثل آدم، إذ لم يكن للثانى أب ولا اُمّ مع أنّه لم يكن إبناً للّه سبحانه» وأولى منه أن لا يكون المسيح إبناً له. ولمّا اُفحموا فى المحاجة التجأوا إلى المباهلة والملاعنة، وهى وإن كانت دائرة بين الرسولص و رجال النصارى، لكن عمَّت الدعوة للاَبناء والنساء، ليكون أولى على اطمئنان الداعى بصدق دعوته وكونه على الحقّ وذلك لما أودع اللّه سبحانه فى قلب الاِنسان من محبة الاَولاد والشفقة عليهم، فتراه يقيهم بنفسه ويركب الاَهوال و الاِخطار دونهم، ولذلك قدَّم سبحانه فى الآية المباركة الاَبناء على النساء، وقال: (فَمَنْ حاجّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءُكُمْ وَنساءَناو نساءُكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لَعْنَةُ اللّه [صفحه ۱۰۵] عَلى الكاذِبين). وحيث إنّه سبحانه أتى بلفظ الاَبناء بصيغة الجمع يعرب عن أنّ طرف الدعوى لم يكن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده بل أبناوَه ونساوَه، ولذلك عدَّدتهم الآية نفس النبى ونساء النبى وأبناءه من بين رجال الاُمة ونسائهم و أبنائهم. ثمّ إنّالمفسرين قد ساقوا قصة المباهلة بشكل مبسوط منهم صاحب الكشاف، قال: لما دعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع و ننظر، فلّما تخالوا. قالوا للعاقب، وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: واللّه لقد عرفتم يامعشر النصارى انّمحمّداً نبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، واللّه ما باهل قوم نبياً قط، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكنّ، فإن أبيتم إلاـ اِلف دينكم والاِقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه، وعلىّ خلفها،وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا». فقال

أَسقف نجران: يا معشر النصارى! إنّى لاَرى وجوهاً لو شاء اللّه أن يُزيل جبلاً من مكانه لَازاله بها فلا تباهلوا فتُهلكوا، ولا يبقى على وجه الاَرض نصرانى إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك على دينك، ونثبت على ديننا. قال: «فإذا أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم». [صفحه ۱۰۶] فأبوا، قال: «فانّى أُناجزكم»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردُّنا عن ديننا، على أن نوَدى إليك كلّ عام ألفى حلّة، ألف فى صفر، وألف فى رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك. وقال: «والذى نفسى بيده انّ الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولا ضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل اللّه نجران وأهله حتى الطير على روَوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا». وعن عائشة انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة،ثمّ على، ثمّ قال: (إنّما يريداللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت). [۱۴۷] . الشاهدعلى استجابة دعائهم أمران: أ: قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أنا دعوت فأمّنوا، فكان دعاء النبى يصعد بتأمينهم، وأىُّ مقام أعلى وأنبل من أن يكون دعاء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) صاعداً بفضل دعائهم. ب: قول أُسقف نجران: «انّى لاَرى وجوهاً لوشاء اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لَازاله بها» والضمير يرجع إلى الوجوه، أى لازاله بدعائهم أو لَازاله بالقسم على اللّهبهم، وقد أيَّد القول الثانى ابن البطريق فى «العمدة» حيث قال: المباهلة بهم تصدق دعوى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد صار إبطال محاجَّة أهل نجران فى القرآن الكريم بالقسم على اللّه بهم. [۱۴۸] . [صفحه ۱۰۷] وقد تركت مباهلة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته أثراً بالغاً فى نفوس المسلمين، يشهد بها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عامر بن سعد بن أبى وقاص،عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعداً، فقال: ما يمنعك أن تسبَّ أباتراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلن أسبَّه، لَان تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلىّ من حمر النعم. سمعت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له وقد خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول اللّه، خلّفتنى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدى؟ و سمعته يوم خيبر، يقول: لاُعطينّ الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله،ويحبّه اللّه ورسوله. قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لى علياً، فأُتى به أرمد العين، فبصق فى عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح اللّه على يديه. ولما نزلت هذه الآية: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول اللّه علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: اللّهم هوَلاء أهل بيتى. [۱۴۹] . [صفحه ۱۰۸]

ابتغاء مرضاة الله تعالى

الإنسان الكامل هو الذى لا يفعل شيئاً ولا يتركه إلّالابتغاء مرضاة اللّه تبارك و تعالى، فيصل فى سلوكه وریاضاته الدينيَّة إلى مكان تفنى فيه كلّالدوافع والحوافز إلاّ داع واحد و هو طلب رضى اللّه تبارك و تعالى، فإذا بلغ هذه الدرجة فقد بلغ الذروة من الكمال الإنسانى، وربَّما يبلغ الإنسان فى ظل الرضا درجة لا يتمنّى وقوع مالم يقع، أو عدم ما وقع، وإلى ذلك المقام يشير الحكيم السبزوارى بما فى منظومته: وبهجة بما قضى اللّه رضا وذو الرضا بما قضى ما اعترضا اعظم باب اللّه، الرضا وُعى [۱۵۰] وخازن الجنة رضواناً دُعى فقرا على الغنى صبورٌ ارتضى وذا ن سيّان لصاحب الرضا عن عارف عمّر سبعين سنة إن لم يقل رأساً لَاشيا كائنة يا ليت لم تقع ولا لما ارتفع مماّ هو المرغوب ليته وقع [۱۵۱] . [صفحه ۱۰۹] وممَّن يمثل ذلك المقام فى الاُمّة الإسلامية هو إمام العارفين وسيد المتّقين على أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو فى عامة مواقفه فى جهاده و نضاله، وعزلته وقعوده فى بيته، وفى تسنّمه على منصَّة الخلافة بإصرار من الاُمّة، فهو فى كلّهذه الاَحوال والمواقف، لا همّ له إلاّ طلب رضوانه تعالى. و قد صرح الإمام بذلك عندما طلب منه تسلّم مقاليد الخلافة، فقال:«أما والذى فلق الحبَّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه على العلماء ألاّ يقارُّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لَالقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولَالفيتم دنياكم هذه

أزهد عندى من عفطة عنزٍ». [۱۵۲] . وقد تجلت هذه الخصلة فى على (عليه السلام) حين مبيته فى فراش النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). روى المحدّثون أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أراد الهجرة خلّف على بن أبى طالب (عليه السلام) بمكة لقضاء ديونه و ردّ الودائع التى كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه فقال ص له: يا على اتَّشح ببردى الحضرمى الاَخضر، ثمّ نم على فراشى، فانّه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء اللّه عزّوجلّ، ففعل ذلك (عليه السلام) فأوحى اللّه عزّوجلّ إلى جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام) إنّى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يوَثر صاحبه بالحياة،فاختار كلاهما الحياة، فأوحى اللّه عزّوجلّ إليهما: ألا كنتما مثل على بن أبى طالب، آخيت بينه وبين محمّد ص فنام على فراشه يفديه بنفسه ويوَثره بالحياة، اهبطا إلى الاَرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه. [صفحه ۱۱۰] فقال جبرئيل: بخ بخ مَن مثلك يابن أبى طالب؟ يباهى اللّه بك الملائكة، فأنزل اللّه تعالى على رسوله ص و هو متوجّه إلى المدينة فى شأن على بن أبى طالب (عليه السلام): (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرى نَفْسَهُ ابْتِغاءَمَرْضاتِ اللّه). [۱۵۳] . وقد نقل غير واحد نزول الآية فى حقّ على (عليه السلام). وقال ابن عباس: أنشدنى أمير المؤمنين شعراً قاله فى تلك الليلة: وقيت بنفسى من وطئ الحصا وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر وبتّ أراعى منهم ما يسوءنى وقد صَّبرت نفسى على القتل والاَسر وبات رسول اللّه فى الغار آمناً ومازال فى حفظ الاِله وفى الستر [۱۵۴] . وإلى هذه الفضيلة الرابية وغيرها يشير حسان بن ثابت فى شعره عند مدح على (عليه السلام): من ذا بخاتمه تصدَّق راكعا و أسرّها فى نفسه إسرارا من كان بات على فراش محمّد ومحمد اسرى يوَم الغارا من كان فى القرآن سمّى فى تسع آيات تلين غزارا [۱۵۵] . محاولة طمس الحقيقة لولا... إنّ عظمة هذه الفضيلة وأهمية هذا العمل التضحوىّ العظيم دفعت بكبار علماء الاِسلام إلى اعتبارها واحدة من أكبر فضائل الاِمام على (عليه السلام) [صفحه ۱۱۱] وإلى أن يَصِفُوا بها علياً بالفداءو البذل و الاِيثار،وإلى أن يعتبروا نزول الآيةالمذكورة فى شأنه من المسلّمات، كلّما بلغ الحديث فى التفسير والتاريخ إليها. [۱۵۶] . إنّ هذه الحقيقة ممّا لا ينسى أبداً، فانّه من الممكن إخفاء وجه الواقع والتعتيم عليه بعض الوقت إلاّ أنّه سرعان ما تمزّق أشعةُ الحقيقة الساطعة حجبَ الاَوهام، وتخرج شمس الحقيقة من وراء الغيوم. إنّ معاداة معاوية لاَهل بيت النبوة وبخاصة للاِمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) ممّا لا يمكن النقاش فيه. فقد أراد هذا الطاغية من خلال تطميع بعض صحابة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يلوّث صفحات التاريخ اللامعةويخفى حقائقه بوضع الاَكاذيب،ولكنّه لم يحرز فى هذا السبيل نجاحاً. فقد عمد«سمرة بن جندب» الذى أدرك عهد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ انضمّ بعد وفاته ص إلى بلاط معاوية بالشام، عمد إلى تحريف الحقائق لغاية أموال أخذها من الجهاز الاَموى، الحاقد على أهل البيت. فقد طلب منه معاوية بإصرار أن يرقى المنبر ويكذّب نزول هذه الآية فى شأن على (عليه السلام)، ويقول للناس أنّها نزلت فى حقّ قاتل علىّ (أى عبد الرحمن بن ملجم المرادى)،ويأخذ فى مقابل هذه الاُكذوبة الكبرى، وهذا الاختلاق الفضيع الذى أهلك به دينه، مائة ألف درهم. فلم يقبل «سمرة» بهذا المقدار ولكن معاوية زاد له فى المبلغ حتى بلغ أربعمائة ألف درهم، فقبل الرجل بذلك، فقام بتحريف الحقائق الثابتة، مسوَّداً [صفحه ۱۱۲] بذلك صفحته السوداء أكثر من ذى قبل، وذلك عندما رقى المنبر وفعل ما طلب منه معاوية. [۱۵۷] . وقبل السامعون البسطاء قوله،ولم يخطر ببال أحد منهم أبداً انّ (عبد الرحمن بن ملجم) اليمنىّ لم يكن يوم نزول الآية فى الحجاز بل لعلّه لم يكن قد وُلِدَ بعد آنذاك. فكيف يصحّ؟! ولكن الحقيقة لا يمكن أن تخفى بمثل هذه الحجب الواهية، ولا يمكن أن تُنسى بمثل هذه المحاولات العنكبوتية الرخيصة. فقد زالت حكومة معاوية و زال معها أعوانها، واندثرت آثار الاختلاق والافتعال الذى وقع فى عهدها المشوَوم، و طلعت شمس الحقيقة من وراء حُجبُ الجهل والافتراء مرة أُخرى،واعترف أغلبُالمفسرين الاَجلّة والمحدّثين الاَفاضل ـ فى العصور والاَدوار المختلفة ـ بأنّ الآية المذكورة نزلت فى «ليلة المبيت»فى بذل على (عليه السلام) ومفاداته النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه. [صفحه ۱۱۳]

الايثار

إنّه سبحانه تبارك وتعالى وصف الإيثار فى كتابه الكريم وهو من صفات الكرام حيث يقدِّمون الغير على أنفسهم، يقول سبحانه فى وصف الأنصار:(وَالّذِينَ تَبَوَّءُو الدّارَ وَالإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَإِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حَاجةً مِمّا أُوتوا ويُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْكانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون). [۱۵۸] . كما أنّه سبحانه أمر بالوفاء بالنذر، قال سبحانه: (ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نذر فَانَّ اللّهَ يعلمهُ) [۱۵۹] ، وقال سبحانه: (ثُمَّ لْيَقضُوا تَفثهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورهُمْ). [۱۶۰] . وفى الوقت نفسه ندب إلى الخوف من عذابه يقول سبحانه:(يَخافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوب وَالأَبْصار...). [۱۶۱] وقال سبحانه: (وَالّذِينَ يصلُونَ ما أَمَر اللّهبِهِ أَنْ يُوصل وَيَخشونَ ربّهم ويخافُونَ سُوء الحِساب). [۱۶۲] . [صفحه ۱۱۴] ما ذكرنا من الصفات الثلاث هى من أبرز الصفات التى يتحلّى بها أولياوَه سبحانه، ونجد هذه الصفات مجتمعة فى أهل البيت (عليهم السلام) فى سورة واحدة، يقول سبحانه: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوماًكانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً -وَيطعِمُونَ الطَّعام عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسيراً- إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّه لا نُريدُ مِنْكُمْ جزاءً وَلا شكوراً- إِنَّا نَخاف مِنْ رَبِّنا يَوماً عَبُوساً قَمْطَريراً). [۱۶۳] . فقوله سبحانه:(ويُطْعِمُونَ الطَّعام عَلى حُبِّه) إشارة إلى إيثارهم الغير على أنفسهم، والضمير فى (عَلى حُبِّهِ) يرجع إلى الطعام أى انّهم مع حبّهم للطعام قدَّموا المسكين على أنفسهم، كما أنّ قوله: (يُوفُونَ بِالنَّذْر...) إشارة إلى صلابتهم فى طريق إقامة الفرائض. ثمّ قوله: (وَيَخافُونَ يَوماً) إشارة إلى خوفهم من عذابه سبحانه يوم القيامة. وقد نقل أكثر المفسرين لو لم نقل كلّهم، انّ الآيات نزلت فى حقّ أهل البيت (عليهم السلام). روى عن ابن عباس (رض) انّ الحسن والحسين (عليهما السلام) مرضا فعادهما رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أُناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لونذرت على ولدك، فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما، إن شفاهما اللّه تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شىء، فاستقرض على (عليه السلام) من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص [صفحه ۱۱۵] على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد مسكين من مساكين المسلمين، أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنة، فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلّاالماء وأصبحوا صائمين. فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم ووقف عليهم يتيم فآثروه، وجاءهم أسير فى الثالثة، ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على (عليه السلام) بيد الحسن والحسين (عليهما السلام) و دخلوا على الرسول ص فلمّا أبصرهم، وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك. فنزل جبرئيل (عليه السلام) و قال: خذها يا محمّد هنّأك اللّهُ فى أهل بيتك، فاقرأها السورة. [۱۶۴] . روى السيوطى فى الدر المنثور، وقال: اخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: (ويُطعمون الطَّعام على حُبِّهِ) الآية، قال: نزلت هذه الآيةفى على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول اللّه «(صلى الله عليه وآله وسلم). [۱۶۵] . ورواه الثعلبى فى تفسيره، وقال: نزلت فى على بن أبى طالب و فاطمة (عليهما السلام) وفى جاريتهما فضة، ثمّذكر القصة على النحو الذى سردناه لكن بصورة مبسطة. وقال: وذهب محمّد بن على صاحب الغزالى على ما ذكره الثعلبى فى كتابه المعروف بـ«البلغة» انّهم (عليهم السلام) نزلت (عليهم السلام) مائدة من السماء فأكلوا منها سبعة أيّام، وحديث المائدة ونزولها عليهم فى جواب ذلك [صفحه ۱۱۶] مذكور فى سائر الكتب. [۱۶۶] . وقد سرد سبب نزول هذه الآية فى حقّ أهل البيت (عليهم السلام) غير واحد من أئمّة الحديث. [۱۶۷] . [صفحه ۱۱۷]

هم خير البرية

إنّ خير الناس فى منطق القرآن الكريم من آمن باللّه ورسوله وعرف خالقه ومنعمه، وقد قال سبحانه: (لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ البِرَّ مَنْآمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوم الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتابِ وَالنَّبِيّينَ وَآتَى المالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِى القُربَى وَاليَتامَى وَالْمَساكينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسّائلينَ وَفِى الرِّقابِ و أَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذاعَاهَدُوا وَالصَّابِرينَ فِى البَأْساءِ والضَّرّاءِ وحِينَ البَأْس أُولئِكَ الّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ الْمُتَّقُون). [۱۶۸] . وهذه الصفات المذكورة فى الآية تجدها، متمثلة فى أهل البيت «(عليهم

السلام» شهد على ذلك سيرتهم، ولذلك صاروا خير البرية. أخرج الطبرى فى تفسير قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات أُولئِكَ هُمْ خَيْرُالْبَرِيَّة). [۱۶۹] باسناده عن أبى الجارود،عن محمد بن على، قال: [صفحه ۱۱۸] قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنت يا على و شيعتك». [۱۷۰] . روى الخوارزمى عن جابر قال: كنّا عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل على بن أبى طالب، فقال رسول اللّه: «قد أتاكم أخى» ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: «والذى نفسى بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»، ثمّ قال: «إنّه أوّلكم إيماناً معى، وأوفاكم بعهد اللّه، وأقومكم بأمر اللّه، وأعدلكم فى الرعيّة، وأقسمكم بالسوّية،وأعظمكم عند اللّه مزيّة»، قال: وفى ذلك الوقت نزلت فيه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة)، و كان أصحاب النبى ص إذا أقبل علىّ، قالوا:قد جاء خير البرية. [۱۷۱] . وروى أيضاً من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصارى، كاتب على (عليه السلام)، قال سمعت عليّاً، يقول: «حدَّثنى رسول اللّه وأنا مُسْنِده إلى صدرى، فقال:«أى علىّ»! ألم تسمع قول اللّه تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة)؟ أنت وشيعتك، وموعدى وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تُدعون غرّاً محجّلين. [۱۷۲] . وأرسل ابن الصباغ المالكى فى فصوله عن ابن عباس، قال: لمّا نزلت هذه الآية، قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (عليه السلام): «أنت و شيعتك تأتى يوم القيامة، أنت و هم راضين مرضيين، ويأتى أعداوَك غضاباً مقمحين». [۱۷۳] . [صفحه ۱۱۹]

اهل البيت ورثة الكتاب

اختلفت الأُمّة الإسلامية بعد رحيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أمر الخلافة ـ وإن كان اللائق بها عدم الاختلاف فيها للنصوص الصحيحة الصادرة عنه فى مختلف الموارد ـ وقد استقصينا البحث فيها فى مبحث الإمامة من هذا الجزء. والذى نركِّز عليه فى هذا البحث هو تبيين المرجع العلمى بعد رحيله ـ سواء أكانت الخلافة لمن نصَّ عليه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى يوم الغدير أو من اختاره بعض الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة ـ والمراد من المرجع العلمى مَن ترجع إليه الأُمّة فى أُصول الدين وفروعه، ويصدر عنهم فى تفسير القرآن وتبيين غوامضه، ويستفهم منه أسئلة الحوادث المستجدَّة. يقول سبحانه:(وَالّذى أَوحَينا إِلَيكَ الكِتابَ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللّه بِعِبادِهِ لَخبير بَصير- ثُمَّ أَورَثْنَا الكِتاب الّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالخَيرات بِإِذْنِ اللّه ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ [صفحه ۱۲۰] الكَبير). [۱۷۴] . المراد من الكتاب فى قوله (أوحينا إليك الكتاب) هو القرآن بلا شكّ وكونه حقّاً لأجل براهين قطعية تُثبت انّه منزل من ربّه فانّ قوانينه تنسجم مع الفطرة الإنسانية والقصص الواردة فيها مصونة من الأساطير، والمجموع خالٍ من التناقض إلى غير ذلك من القرائن الدالة على أنّه حقّ. ومع ذلك هو مصدِّق لما بين يدى الرسول ص من الكتاب السماوى. هذا هومفاد الآية الأُولى. ثمّ إنّه سبحانه يقول: (ثُمَّ أَورَثْنا الكتاب) المراد من الكتاب هو القرآن: لأنَّ اللّام للعهد الذكرى أى الكتاب المذكور فى الآية المتقدمة، والوراثة عبارة عمّا يستحصله الإنسان بلا مشقة وجهد، والوارث لهذا الكتاب هم الذين أُشير إليهم بقوله: (الذين اصطفينا من عبادنا)، فلو قلنا بأنّ «من» للتبيين فيكون الوارث هو الأُمة الإسلامية جميعاً، ولو قلنا: إنّ «مِن» للتبعيض فيكون الوارث جماعة خاصة ورثوا الكتاب. والظاهر هو التبيين كما فى قولنا:(وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الّذينَ اصْطَفى). [۱۷۵] . ولكن الأُمة الإسلامية صاروا على أقسام ثلاثة: أ: ظالم لنفسه الَّذين قصرَّوا فى وظيفتهم فى حفظ الكتاب والعمل [صفحه ۱۲۱] بأحكامه، وفى الحقيقة ظلموا أنفسهم، فلذلك صاروا ظالمين لأنفسهم. ب: مقتصد: الذين أدُّوا وظيفتهم فى الحفظ و العمل لكن لا بنحو كامل بل قصرّوا شيئاً فيهما. ج: سابق بالخيرات بإذن اللّه: هم الجماعة المثلى أدّوا وظائفهم بالحفظ والعمل على النحو الأتم، فلذلك سبقوا إلى الخيرات كما يقول سبحانه: (سابِقُوا إلى الخَيرات بِإِذْنِ رَبِّهِمْ). و على هذا ورثة الكتاب فى الحقيقة هم الطائفة الثالثة أعنى الذين سبقوا بالخيرات. وأمّا ما هو المراد من الطائفة الثالثة فيتكفَّل الحديث لبيان ملامحها. روى الكلينى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فى تفسير الآية انّه قال: «السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذى لا يعرف الإمام».

وروى نفس الحديث عن الإمام الرضا (عليه السلام). وهناك روايات أخرى تؤيد المضمون فمن أراد فليراجع. [۱۷۶] . ثمّ إنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوضح ورثة الكتاب فى حديثه المعروف الذى اتّفق على نقله أصحاب الصحاح والمسانيد. أخرج مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم رضى اللّه عنه، قال: قام رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد اللّه تعالى، وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثمّ قال: «أمّا بعد: ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، [صفحه ۱۲۲] وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه استمسكوا به»، فحثّ على كتاب اللّه ورغبَّ فيه؛ ثمّ قال: «وأهل بيتى، أذكّركم اللّه فى أهل بيتى، أذكّركم اللّه فى أهل بيتى، أذكّركم اللّه فى أهل بيتى». [۱۷۷] . هذا ما أخرجه مسلم، و من الواضح انّه لم ينقل على وجه دقيق وذلك؛ لأنّ مقتضى قوله: أوّلهما، أن يقول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانيهما: أهل بيتى مع أنّه لم يذكر كلمة «ثانيهما». وقد رواها الإمام أحمد بصورة أفضل ممّا سبق كما رواه النسائى فى فضائل الصحابة كذلك. أخرج أحمد فى مسنده عن أبى الطفيل، عن زيد بن الأرقم، قال: لما رجع رسول اللّه عن حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمن، ثمّ قال: «كأنّى قد دعيت فأجبت: إنّى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلّفونى فيهما، فانّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». ثمّ قال:«إنّ اللّه مولاى، وأنا ولى كلّ مؤمن»، ثمّ أخذ بيد علىّ، فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه». [۱۷۸] . هذه إلمامة سريعة بحديث الثقلين، ومن أراد أن يقف على أسانيده ومتونه فعليه أن يرجع إلى الكتب المؤلفة حوله، وأبسط كتاب فى هذا الموضوع ما ألفه السيد المجاهد مير حامد حسين حيث خص أجزاءً من كتابه «العبقات» لبيان تفاصيل أسانيده ومضمونه وقد طبع ما يخصَّ بالحديث فى ستَّة أجزاء. كما بسط الكلام فى أسانيده وأسانيده غيره سيد مشايخنا البروجردى [صفحه ۱۲۳] (۱۲۹۲ـ ۱۳۸۰هـ) فى كتابه «جامع أحاديث الشيعة»، فقال بعد استيفاء نصوص الحديث وأسانيده: وقد ظهر ممّا ذكرنا انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجب على الأُمّة قاطبة التمسُّك بالعترة الطيبة فى الأُمور الشرعية والتكاليف الإلهية، وأكَّد وجوبه وشدَّده و أوثقه وكرَّره بكلمات عديدة وألفاظ مختلفة بحيث لا يمكن إنكاره ولا يجوز تأويله، و قد اكتفينا بذلك و أنّ كثيراً من طرق الحديث قد ضمن مضافاً إلى المذكورات، ما يدل على حجّية أقوالهم ووجوب اتّباعهم وحرمة مخالفتهم. [۱۷۹] . والجدير بالمسلمين التركيز على مسألة تعيين المرجع العلمى بعد رحيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا يسوغ فى منطق العقل أن يترك صاحب الرسالة، الأُمّة المرحومة بلا راع، وهويعلم أنّه ص برحيله سوف يواجه المسلمون حوادث مستجدة ووقائع جديدة تتطلب أحكاماً غير مبيّنة فى الكتاب والسنَّة، فلا محيص من وجود مرجع علمى يحُلُّ مشاكلها ويذلّل أمامها الصعاب، وقد قام ص ببيان من يتصدّى لهذا المنصب بحديث الثقلين. ومن العجب انّكثيراً من المسلمين يطرقون كلّباب إلّاباب أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) مع أنّه ص لم يذكر شيئاً ممّا يرجع إلى غير هؤلاء، فلا أدرى ما هو وجه الإقبال على غيرهم والإعراض عنهم؟! قال السيد شرف الدين العاملى: والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة، وطرقها عن بضع وعشرين صحابياً متضافرة. وقد صدع بها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مواقف له شتى. تارة يوم غدير خم كما سمعت، وتارة يوم عرفة فى حجّة الوداع، وتارة [صفحه ۱۲۴] بعد انصرافه من الطائف، ومرّة على منبره فى المدينة، وأُخرى فى حجرته المباركة فى مرضه، والحجرة غاصَّة بأصحابه، إذ قال: «أيّها الناس يوشك أنْ أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنّى مخلّف فيكم كتاب اللّه عزّوجلّ وعترتى أهل بيتى»، ثمّ أخذ بيد على فرفعها، فقال: «هذا على مع القرآن، والقرآن مع على، لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض». وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور، حتى قال ابن حجر: ثم اعلم انّ لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً. قال: ومرّ له طرق مبسوطة فى حادى عشر الشبه، وفى بعض تلك الطرق انّه قال:ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفى أُخرى انّه قاله بالمدينةفى مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفى أُخرى انّه قال: ذلك بغدير خم، وفى أُخرى انّه قال: ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف. قال: ولا تنافى إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة. وحسب أئمّة أهل العترة الطاهرة أن يكونوا عند اللّه

ورسوله بمنزلة الكتاب، لا يأتيه ا لباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكفى بذلك حجة تأخذ بالاعناق إلى التعبُّد بمذهبهم، فانّ المسلم لا يرتضى بكتاب اللّه بدلاً، فكيف يبتغى عن اعداله حولاً. [۱۸۰] . [صفحه ۱۲۵]

حرمة الصدقة عليهم

اتّفق الفقهاء على أنّه لا تحل الصدقة المفروضة على بنى هاشم الواردة فى الآية المباركة، أعنى: قوله سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَتُصلِّ عليهم انَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ). [۱۸۱] وذلك لاَنّ التطهير والتزكية إنّما يتعلّق بما فيه وسخ وأهل البيت أعلى من أن يعيشوا بأوساخ الناس. قال ابن قدامة: «لا نعلم خلافاً فى أنّ بنى هاشم لا تحلُّ لهم الصدقة المفروضة». [۱۸۲] . وقد تضافرت الروايات على ذلك وجمعها ابن حجر العسقلانى فى بلوغ المرام، نقتبس منها ما يلى: ۱. عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ الصدقة لا تنبغى لآل محمّد، إنّما هى أوساخ النّاس». [۱۸۳] . وفى رواية: «وانّها لا تحلُّ لمحمد ولا لآل محمد» رواه مسلم. [۱۸۴] . [صفحه ۱۲۶] ۲. روى أبو هريرة، قال: أخذ الحسن بن على (عليهما السلام) تمرة من تمر الصدقة، فجعلها فى فيه، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «كخ، كخ» ليطرحها، ثمّ قال: «أما شعرت انّا لا نأكل الصدقة»، رواه الشيخان البخارى و مسلم. ولمسلم: أما علمت انّا لا تحل لنا الصدقة. [۱۸۵] . ۳. عن أنس انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّبتمرة فى الطريق، وقال: «لولا أن تكون من الصدقة لاَكلتها». رواه مسلم وأبو داود. [۱۸۶] . ۴. عن عائشة، قالت: أُتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بلحم، فقلت: هذا ما تصدّق به على بريرة، فقال: «هو لها صدقة، ولنا هدية». رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود. [۱۸۷] . ۵. كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أتى بطعام سأل عنه، فإن قيل: هدية أكل منها، وإن قيل: صدقة، لم يأكل منها. رواه الترمذى ومسلم. [۱۸۸] . ۶. عن عبد اللّه بن حرث الهاشمى، وساق حديثاً حتى قال: إنّ هذه الصدقات إنّما هى أوساخ الناس وانّها لا تحل لمحمّد ولا لآل محمّد. رواه مسلم والنسائى. [۱۸۹] . ۷. عن أبى رافع أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث رجلاً على الصدقة من بنى مخزوم، فقال لاَبى رافع:اصحبنى فإنّك تصيب منها، قال: حتى آتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسأله، فأتاه فسأله، فقال: مولى القوم من أنفسهم وإنّا لا تحلُّلنا الصدقة. أخرجه أبو داود والترمذى وصححه. [۱۹۰] . [صفحه ۱۲۷]

حقوق اهل البيت فى القرآن الكريم

اشاره

قد عرفت من هم أهل البيت (عليهم السلام) فى الآيات والروايات الواردة على لسان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما جادت به القرائح العربية حولهم من قصائد وأراجيز كما عرفت سماتهم و خصوصياتهم. وحان البحث لبيان حقوقهم على المسلمين الَّتى نزل بها الوحى فى الكتاب العزيز، وها نحن نذكر بعض حقوقهم: [صفحه ۱۲۹]

ولاية اهل البيت

قد دلّت الروايات المتضافرة على انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتحل وقد نصب علياً (عليه السلام) للولاية والخلافة، فأبان ولايته وولاية من بعده من الاَئمّة فى مواقف مختلفة، نذكر منها موقفين: الاَوّل: انّ سائلاً أتى مسجد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلىّ (عليه السلام) راكع، فأشار بيده للسائل، أى اخلع الخاتم من يدى، فنزل قوله سبحانه: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُون). [۱۹۱] . وقد تضافرت الروايات على نزول الآية فى حقّ على (عليه السلام) و نقلها الحفاظ، منهم: ابن جرير الطبرى [۱۹۲] والحافظ أبو بكر الجصاص الرازى [۱۹۳] و الحاكم النيسابورى [۱۹۴] و الحافظ أبو الحسن

الواحدى النيسابورى [۱۹۵] وجار اللّه الزمخشرى [۱۹۶] إلى غير ذلك من أئمّة الحفاظ و كبار المفسّرين ربما ناهز [صفحه ۱۳۰] عددهم السبعين. وهم بين محدِّث ومفسّر ومؤرِّخ. والذى يجب التركيز عليه هو فهم معنى الولى الوارد فى الآية المباركة والذى وقع وصفاً للّه سبحانه ولرسوله ومن جاء بعده. المراد من الولى فى الآية هو الاَولوية الواردة فى قوله سبحانه:(النَّبِيُّ أولى بِالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ). [۱۹۷] . فالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم فهو بما انّه زعيم المسلمين وولّيهم، يتصرّف فيهم حسب ما تقتضيه المصالح فى طريق حفظ كيان الاِسلام وصيانة هويَّتهم والدفاع عن أراضيهم ولغاية نشر الاِسلام. وليست الغاية من هذه الولاية الموهوبة للنبى ص هى حفظ مصالح النبى ص الشخصية، بل الغاية كما عرفت هو صيانة مصالح الاِسلام والمسلمين. فالولاية بهذه المعنى هى المراد من قوله سبحانه: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهَ وَرَسُولُه) و القرائن الدالَّة على تعُّين هذا المعنى كثيرة، نذكر منها ما يلى: الاَوّل: إذا كان المراد من الولىّ هو الزعامة يصحّ تخصيصها باللّه سبحانه و رسوله ومن أعقبه، وأمّا لو كان المراد منه هو الناصر و المحب، فهو ليس مختصاً بهوَلاء، لاَنّ كلّمؤمن محب للآخرين أو ناصر لهم كما يقول سبحانه: (وَ المُؤْمِنُونَ وَ المُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَولياءُ بَعْضٍ). [۱۹۸] . الثانى: انّ ظاهر الآية انّ هناك أولياء و هناك مولى عليهم، ولا يتحقّق التمايز إلّا بتفسير الولاية بمعنى الزعامة حتى يتميّز الزعيم عن غيره، وهذا بخلاف ما فسرناه بمعنى الحب والود أو النصر، فتكون الطوائف الثلاث على حد سواء [صفحه ۱۳۱] الثالث: إذا كان المراد من الولى هو الزعيم، يصحّ تخصيصه بالمؤمن المؤدّى للزكاة حال الصلاة، و أمّا لو كان المراد بمعنى المحبّ والناصر وما أشبهها يكون القيد زائداً أعنى: إعطاء الزكاة فى حال الصلاة، فانّ شرط الحب هو إقامة الصلاة وأداء الزكاة، وأمّا تأديتها فى حال الركوع فليس من شرائط الحب والنصرة، وهذا دليل على انّ المراد فرد أو جماعة خاصة يوصفون بهذا الوصف لا- كلّ المؤمنين. الرابع: انّ الآية التالية تفسر معنى الولاية، يقول سبحانه: (ومَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُون). [۱۹۹] . فانّ لفظة (الّذين آمنوا) فى هذه الآية هو الوارد فى الآية المتقدمة، أعنى: (وَالّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ)، وعلى هذا يكون المراد من القول أخذهم زعيماً ووليّاً بشهادة انّ حزب اللّه لا ينفك من زعيم يدبِّر أمرهم. إلى هنا تبيّن انّ الاِمعان فى القرائن الحافَّة بالآية تفّسر معنى الولى وتعّين المعنى و تثبت انّ المقصود هو الزعيم، لكن من نكات البلاغة فى الآية انّه سبحانه صرح بولايته و ولاية رسوله ومن جاء بعده و على ذلك صارت الولاية للثلاثة، وكان اللازم عندئذٍ أن يقول إنّما أولياوَكم بصيغة الجمع لكنّه أتى بصيغة المفرد إشارة إلى نكتة، وهى انّ الولاية بالاَصالة للّه سبحانه وأمّا ولاية غيره فبإيهاب من اللّه سبحانه لهم، ولذلك فرّد الكلمة ولم يجمعها، لكن هذه الولاية لا تنفك من آثار، وقد أُشير إلى تلك الآثار فى آيات مختلفة، وإليك بيانها: ۱. (أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الاَمْرِ مِنْكُمْ). [۲۰۰] فانّ لزوم إطاعة اللّه والرسول وغيرهما من آثار ولايتهم [صفحه ۱۳۲] وزعامتهم،فالزعيم يجب أن يكون مطاعاً. ۲. (وَماكانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ). [۲۰۱] . فينفذ قضاوَه سبحانه و الَّذى هو من آثار الزعامة، ونظيره قوله سبحانه: (إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ بِما أَراكَ اللّهُ). [۲۰۲] . ۳.(فَلْيَحْذَرِ الّذينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ). [۲۰۳] فحرمة مخالفة أمر اللّه ورسوله من توابع زعامتهم وولايتهم. فهذه الحقوق ثابتة للنبى ص بنص القرآن الكريم ولمن بعده بحكم انّهم أولياء بعد النبى فانّ ثبوتها للنبى ص لاَجل ولايته فإذا كانت الولاية مستمرة بعده فيتمتع كلّوليٍّ بهذه الحقوق. وبهذا تبيَّنت دلالة الآية على ولاية على (عليه السلام) وانّها حقّ من حقوقهم لصالح الاِسلام والمسلمين. نعم بعض من لا تروقهم ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وزعامتهم حاولوا تضعيف دلالة الآية بشبهات واهية واضحة الرد، وقد أجبنا عنها فى بعض مسفوراتنا فلنكتف فى المقام بهذا المقدار. غير انّا نركز على نكتة وهى انّ الصحابة الحضور لم يفهموا من الآية سوى الولاية ولذلك صبَّ شاعر عهد الرسالة حسان بن ثابت ما فهمه من الآية بصفاء ذهنه فى قالب الشعر، وقال: [صفحه ۱۳۳] فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع فدتك نفوس القوم يا خير راكع بخاتمك الميمون يا خير سيد و يا خير شار ثمّ يا خير بايع فانزل فيك اللّه خير ولاية و بيّنها فى محكمات الشرائع [۲۰۴] . والظاهر ممّا رواه المحدّثون انّ الاَُمّة الاِسلامية سيُسألون يوم القيامة عن ولاية على (عليه السلام)، حيث ورد السوَال فى تفسير قوله سبحانه: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْوَولُون). [۲۰۵] . روى

ابن شيرويه الديلمى فى كتاب «الفردوس» فى قافية الواو، باسناده عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْوَولُون) عن ولاية على بن أبى طالب. [۲۰۶] . ونقله ابن حجر عن الديلمى، وقال: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْوَولُون) أى عن ولاية على وأهل البيت، لاَنّ اللّه أمر نبيّه ص أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودة فى القربى، والمعنى انّهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة. [۲۰۷] . الثانى [۲۰۸] : من تلك المواقف هو يوم الغدير و هو أوضحها وآكدها وأعمّها و قد صدع بها فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجّة الحرام فى منصرفه من حجّة الوداع، وقد قام فى محتشد كبير بعد ما خطب خطبة مفصَّلة وأخذ من الناس الشهادة على التوحيد والمعاد ورسالته وأعلن انّه فرط على الحوض، ثمّ ذكر الثقلين وعرَّفهما، بقوله:«الثقل الاَكبر، كتاب اللّه، والآخر الاَصغر: عترتى؛ وانّ اللطيف الخبير نبّأنى انّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض»، ثمّقال: «أيّها الناس من أولى الناس بالموَمنين من أنفسهم؟» قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: «إنّ اللّه مولاى، وأنا مولى الموَمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه [صفحه ۱۳۴] فعلى مولاه»، ثمّ قال: «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا ـ فليبلغ الشاهد الغائب». ففى هذه الواقعة الفريدة من نوعها أعلن النبى ولاية على (عليه السلام) للحاضرين وأمرهم بإبلاغها للغائبين، ونزل أمين الوحى بآية الاِكمال، أعنى: قوله سبحانه: (الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى). [۲۰۹] . فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللّه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتى، والولاية لعلى من بعدى». ثمّ طفق القوم يهنّئون أمير الموَمنين (عليه السلام) و ممَّن هنَّأه فى مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلّ يقول: بخ بخ لك يابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاى ومولى كلّموَمن وموَمنة. وقد تلقّى الصحابة الحضور انّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجب ولايته على الموَمنين، وقد أفرغ شاعر عهد الرسالة حسّان بن ثابت ما تلقّاه عن الرسول، فى قصيدته وقال: فقال له قم يا علىّ فانّنى رضيتك من بعدى إماماً وهادياً فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدق موالياً قد ذكرنا مصادر الخطبة والاَبيات عند البحث عن الاِمامة فراجع. [۲۱۰] . [صفحه ۱۳۵]

اهل البيت و ضرورة اطاعتهم

أمر سبحانه باطاعة الرسول و أُولى الاَمر، وقال: (يا أَيُّهَاالّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الاَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللّه والرَّسُول إِنْ كُنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَاليَوم الآخر ذلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً). [۲۱۱] . تأمر الآية بإطاعة اللّه كما تأمر بإطاعة الرسول و أُولى الاَمر لكن بتكرار الفعل، أعنى: (وأَطيعُوا الرَّسُول) وما هذا إلاّ لاَنّ سنخ الاِطاعتين مختلف، فإطاعته سبحانه واجبة بالذات، و إطاعة النبى و أُولى الاَمر واجبة بإيجابه سبحانه. والمهم فى الآية هو التعرُّف على المراد من أُولى الاَمر، فقد اختلف فيه المفسرون على أقوال ثلاثة: ۱. الاُمراء، ۲. العلماء، ۳. صنف خاص من الاُمّة، وهم أئمّة أهل البيت (عليهم السلام). [صفحه ۱۳۶] وبما انّه سبحانه أمر بإطاعة أُولى الاَمر إطاعة مطلقة، غير مقيدة بما إذا لم يأمروا بالمعصية يمكن استظهار أنّ أولى الاَمر المشار إليهم فى الآية والذين وجبت طاعتهم على الاِطلاق، معصومون من المعصية والزلل، كالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اقترنوا فى لزوم الطاعة فى الآية. وبعبارة أُخرى: انّه سبحانه أوجب طاعتهم على الاِطلاق، كما أوجب طاعته، وطاعة رسوله، ولا يجوز أن توجب طاعة أحد على الاِطلاق إلاّ ـ من ثبتت عصمته،وعلم أنّ باطنه كظاهره، وأمن منه الغلط والاَمر بالقبيح،وليس ذلك بحاصل فى الاُمراء، ولا العلماء سواهم، جلّ اللّه عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أوبالانقياد للمختلفين فى القول والفعل، لانّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. [۲۱۲] . وقد أوضحه الرازى فى تفسيره، وذهب إلى أنّ المقصود من أُولى الاَمر هم المعصومون فى الاُمّة، وإن لم يخض فى التفاصيل، ولم يستعرض مصاديقهم،لكنّه بيّن المراد منهم بصورة واضحة، وقال: والدليل على ذلك انّ اللّه تعالى أمر بطاعة أُولى الاَمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع، لابدّ وأن يكون معصوماً عن

الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللّه بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهى عنه، فهذا يُفضى إلى اجتماع الاَمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وانّه محال. [صفحه ۱۳۷] فثبت انّ اللّه تعالى أمر بطاعة أُولى الاَمر على سبيل الجزم، وثبت أنّكلّمن أمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولى الاَمر المذكور فى هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً. [۲۱۳] . وقد أوضح السيد الطباطبائى دلالة الآية على عصمة أُولى الاَمر ببيان رائق وإليك نصّه، قال: الآية تدل على افتراض طاعة أُولى الاَمر هوَلاء، ولم تقيده بقيد ولا شرط، وليس فى الآيات القرآنية ما يقيد الآية فى مدلولها حتى يعود معنى قوله: (وَأَطيعُوا الرَّسُول وَأُولى الاَمْر مِنْكُمْ) إلى مثل قولنا: وأطيعوا أُولى الاَمر منكم فيما لم يأمروا بمعصية أو لم تعلموا بخطئهم، فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم، وإن علمتم خطأهم فقوِّموهم بالردّ إلى الكتاب والسنّة و ليس هذا معنى قوله: (وَأَطيعُوا الرَّسُول وَأُولى الاَمْرِمِنْكُمْ). مع أنّاللّه سبحانه أبان ما هو أوضح من هذا القيد فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة، كقوله فى الوالدين: (وَوَصَّيْنَا الاِنْسان بِوالِدَيهِ حُسناً وَإِنْ جاهَداكَ لتشرِكَ بِى مالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما). [۲۱۴] فما باله لم يُظهر شيئاً من هذه القيود فى آية تشتمل على أُس أساس الدين، وإليها تنتهى عامة اعراق السعادة الاِنسانية. على أنّ الآية جمع فيها بين الرسول و أُولى الاَمر، وذكر لهما معاً طاعة واحدة، فقال: (وأطيعوا الرسول وأُولى الاَمر منكم)، ولا يجوز على الرسول أن [صفحه ۱۳۸] يأمر بمعصية أو يغلط فى حكم، فلو جاز شىء من ذلك على أُولى الاَمر، لم يسع إلّا أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أن تقيد، ولازمه اعتبار العصمة فى جانب أُولى الاَمر، كما اعتبر فى جانب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير فرق. [۲۱۵] . وبذلك تبَيّن انّ تفسير أُولى الاَمر بالخلفاء الراشدين أو أُمراء السرايا أو العلماء أمر غير صحيح، لاَنّ الآية دلَّت على عصمتهم ولا عصمة لهوَلاء، فلابدّ فى التعرُّف عليهم من الرجوع إلى السنَّة التى ذكرت سماتهم ولا سيما حديث الثقلين حيث قورنت فيه العترة بالكتاب، فإذا كان الكتاب مصوناً من الخطأ، فالعترة مثله أخذاً بالمقارنة. ونظيره حديث السفينة: «مَثَل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق». [۲۱۶] . إلى غير ذلك من الاَحاديث التى تنصُّ على عصمة العترة الطاهرة، فإذاً هذه الاَحاديث تشكّل قرينة منفصلة على أنّ المراد من أُولى الاَمر هم العترة أحد الثقلين. بل يمكن كشف الحقيقة من خلال الاِمعان فى آية التطهير، وقد عرفت دلالتها على عصمة أهل البيت الذين عيَّنهم الرسول بطرق مختلفة. وعلى ضوء ذلك فآية التطهير، وحديث الثقلين، وحديث السفينة إلى غيرها من الاَحاديث الواردة فى فضائل العترة الطاهرة كلّها تدل على عصمتهم. هذا من جانب و من جانب آخر دلَّت آية الاِطاعة على عصمة أُولى الاَمر، [صفحه ۱۳۹] فبضم القرائن الآنفة الذكر إلى هذه الآية يتضح المرادمن أُولى الاَمر الذين أمر اللّه سبحانه بطاعتهم و قرن طاعتهم بطاعة الرسول. وأمّا الرواية عن النبىّ: فقد روى ابن شهراشوب عن تفسير مجاهد انّهذه الآية نزلت فى أمير المؤمنين (عليه السلام) حين خلّفه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المدينة، فقال: «يا رسول اللّه، أتخلفّنى بين النساء و الصبيان؟» فقال ص: «يا على، أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبىّ بعدى، حين قال له: (اخلفنى فى قومى وأصلح)، فقال أبلى واللّه: (وأولى الاَمر منكم)». [۲۱۷] . وأمّا ما رُوى عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) حول الآية فحدث عنها ولا حرج، فلنقتصر فى المقام على رواية واحدة نقلها الصدوق باسناده عن جابر بن عبد اللّه الاَنصارى. قال: لمّا أنزل اللّه عزّ وجلّ على نبيّه محمد ص: (يا أيّها الّذين آمنوا أَطيعوا اللّه وأَطيعُوا الرسول وأُولى الاَمْر منكم) قلت: يا رسول اللّه، عرفنا اللّه ورسوله، فمن أولوا الاَمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ فقال ص: «هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى، أوّلهم على بن أبى طالب، ثمّالحسن، ثمّالحسين، ثمّعلى بن الحسين، ثمّ محمد بن على المعروف فى التوارة بالباقر ستدركه ياجابر، فإذا لقيته فاقرأه منى السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ على بن موسى، ثمّ محمّد بن على، ثمّ على بن محمّد، ثمّ [صفحه ۱۴۰] الحسن بن على، ثمّ سَمِىّ محمّد و كنيتى، حجة اللّه فى أرضه وبقيته فى عباده ابن الحسن بن على، ذاك الذى يفتح اللّه تعالى على يديه مشارق الاَرض ومغاربها، ذاك الذى يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للاِيمان». قال جابر: فقلت له: يا رسول اللّه فهل يقع لشيعته الانتفاع به فى غيبته؟ فقال ص:

«اى والذى بعثنى بالنبوة إنّهم يستضيئون بنوره،وينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب. يا جابر هذا من مكنون سر اللّه ومخزون علم اللّه،فاكتمه إلاّ عن أهله». [۲۱۸] . [صفحه ۱۴۱]

وجوب مودتهم و حبهم

قام الرسل بابلاغ رسالات اللّه سبحانه إلى الناس، دون أن يبغوا أجراً منهم، بل كان عملهم خالصاً لوجهه سبحانه، لاَنّ إبلاغ رسالاته كانت فريضة إلهية على عواتقهم، فكيف يطلبون الاَجر للعمل العبادى الذى لا يبعثهم إليه إلاّ طاعة أمره وطلب رضاه،ولذلك كان شعارهم دوماً، قولهم(وَما أسأَلكم عليهِ منْ أَجْر إن أَجْرى إلاّعلى اللّه ربّ العالَمين). [۲۱۹] . فقد ذكر سبحانه على لسان الاَنبياء تلك الآية فى سورة الشعراء، ونقلها عن عديد من أنبيائه، نظراء: نوح [۲۲۰] . هود [۲۲۱] . صالح [۲۲۲] . لوط [۲۲۳] . شعيب [۲۲۴] . وقد جاء هذا الشعار فى سور أُخرى نقلها القرآن الكريم عن رسله وأنبيائه، فقدكانوا يخاطبون أُممهم بقولهم: [صفحه ۱۴۲] (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرى إلاّ على اللّه). [۲۲۵] . (يا قَوم لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ الّذى فطرنى). [۲۲۶] . فإذا كان هذا موقف الاَنبياء من أُمّتهم، فكيف يصح للنبى الخاتم ص أن يطلب الاَجر؟! بل هو أولى بأن يكون عمله خالصاً للّه، لاَنّه خاتم الرسل وأفضلهم، وقد كان يرفع ذلك الشعار أيام بعثته، بأمر منه سبحانه و يتلو قوله تعالى: (قُلْلا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَإِلاّذِكرى لِلْعالَمين) [۲۲۷] . هذه هى حقيقة قرآنية لا يمكن إنكارها، ومع ذلك نرى انّه سبحانه يأمره فى آية أُخرى بأن يطلب منهم مودة القربى أجراً للرسالة. ويقول: (قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّالمَودَّةَ فِى القُربى). [۲۲۸] . فكيف يمكن الجمع بين هذه الآية، وما تقدم من الآية الخاصة بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والآيات الراجعة إلى سائر الاَنبياء، فانّهم (عليهم السلام) كانوا على نهج واحد؟. هذا هو السوَال المطروح فى المقام. والاِجابة عليه يتوقّف على نقل ما ورد حول الموضوع فى القرآن الكريم، فنقول: الآيات التى وردت حول أجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على أصناف أربعة: الاَوّل: أمره سبحانه بأن يخاطبهم بأنّه لا يطلب منهم أجراً، قال سبحانه: (قُلْلا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَإِلاّذِكرى لِلْعالَمين). [۲۲۹] . [صفحه ۱۴۳] الثانى: ما يشعر بأنّه طلب منهم أجراً يرجع نفعه إليهم دون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): فيقول سبحانه: (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْأَجْرِىَ إلاّعلى اللّهِ وهُوَ على كُلِّ شَىْءٍ شَهيد). [۲۳۰] . الثالث: ما يُعرّف أجره، بقوله: (قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمِنْ أَجْرٍ إلاّمَنْ شاء أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِسَبيلاً). [۲۳۱] فكان اتخاذ السبيل إلى اللّه هو أجر الرسالة. الرابع: ما يجعل مودة القربى أجراً للرسالة، ويقول: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّالمَوَدَّةَ فِى القُربى). فهذه العناوين الاَربعة لابدّأن ترجع إلى معنى واحد، وهذا هو الذى نحاول أن نسلّط عليه الاَضواء. الجواب: انّ لفظة الاَجر يطلق على الاَجر الدنيوى والاُخروى غير انّ المنفى فى تلك الآيات بقرينة نفى طلبه عن الناس هو الاَجر الدنيوى على الاِطلاق، ولذلك لم ينقل التاريخ أبداً أن يطلب نبى ص لدعوته شيئاً بل نقل خلافه. هذه هى قريش تقدَّمت إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي طليعتهم أبو الوليد، فتقدم إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يابن أخى إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الاَمر، مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فانّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو [صفحه ۱۴۴] كما قال له حتى إذا فرغ عتبة، ورسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منى قال: أفعل، فقال:(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِالرَّحيم- حم- تَنْزيلٌ مِنَ الرَّحْمنِالرَّحيم- كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآناًعَرَبِياً لِقَوم يَعْلَمُونَ- بَشيراً وَنَذيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا- يَسْمَعُون- وَقالُوا قُلُوبُنا فى أَكِنَّةٍ مَمّا تَدْعُونا إِلَيْه). [۲۳۲] . ثمّ مضى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها يقروَها عليه. فلماّ سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثمّانتهى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى السجدة منها، فسجد ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. [۲۳۳] . هذا النصّ وغيره يعرب عن أنّ مدار الاِثبات والنفى هو الاَجر الدنيوى بعامة صوره، وهذا أمر منفى جداً لا يليق لنبى أن يطلبه من الناس.

قال الشيخ المفيد: إنّ أجر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى التقرُّب إلى اللّه تعالى هو الثواب الدائم، وهومستحق على اللّه تعالى فى عدله وجوده وكرمه، وليس المستحق على الاَعمال يتعلَّق بالعباد، لاَنّ العمل يجب أن يكون للّه تعالى خالصاً، وما كان للّه فالاَجر فيه على اللّه تعالى دون غيره. [۲۳۴] . إذا عرفت ذلك، فنقول: إنّ مودة ذى القربى وإن تجلت بصورة الاَجر حيث استثنيت من نفى الاَجر، لكنّه أجر صورى وليس أجراً واقعياً، فالاَجر الواقعى عبارة عمّا إذا عاد نفعه إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنّه فى المقام يرجع إلى المحب قبل رجوعه إلى النبى ص، وذلك لاَنّ مودة ذى القربى تجرّ المحب إلى أن ينهج سبيلهم فى الحياة، [صفحه ۱۴۵] ويجعلهم أُسوة فى دينه ودنياه، ومن الواضح انّ الحبّ بهذا المعنى ينتهى لصالح المحب. قال الصادق (عليه السلام): «ما أحب اللّه عزّ و جلّ من عصاه» ثمّ تمثَّل، فقال: تعصى الاِله وأنت تظهر حبه هذا محال فى الفعال بديع لو كان حبك صادقاً لاَطعته انّ المحبّ لمن يحب مطيع [۲۳۵] . وسيوافيك انّ المراد من ذوى القربى ليس كلّ من ينتمى إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بنسب أو سبب، بل طبقة خاصة من أهل بيته الذين عرفهم بأنّهم أحد الثقلين فى قوله: «إنّى تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتى أهل بيتى، وانّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». [۲۳۶] . فإذا كان المراد من ذوى القربى هوَلاء الذين أنيط بهم أمر الهداية والسعادة فحبُّهم ومودَّتهم يرفع الاِنسان من حضيض العصيان والتمرد إلى عزّ الطاعة. إنّ طلب المودة من الناس أشبه بقول طبيب لمريضه بعد ما فحصه وكتب وصفة: لا أُريد منك أجراً إلاّ العمل بهذه الوصفة، فانّ عمل المريض بوصفة الطبيب و إن خرجت بهذه العبارة بصورة الاَجر، ولكنّه ليس أجراً واقعياً يعود نفعه إلى الطبيب بل يعود نفعه إلى نفس المريض الذى طلب منه الاَجر. وعلى ذلك فلابدّ من حمل الاستثناء على الاستثناء المنقطع، كأن يقول: قل لا أسألكم عليه أجراً، وإنّما أسألكم مودة ذى القربى، وليس الاستثناء المنقطع [صفحه ۱۴۶] أمراً غريباً فى القرآن بل له نظائر مثل قوله: (لا يسمعون فيها لَغْواً إلاّسَلاماً). [۲۳۷] . وعلى ذلك جرى شيخ الشيعة المفيد فى تفسير الآية، حيث طرح السوَال، و قال: فإن قال قائل: فما معنى قوله: (قُلْ لا أَسألكم عليهِ أَجْراً إلاّالمَودَّةَ فِى القُربى) أو ليس هذا يفيد انّه قد سألهم مودة القربى لاَجره على الاَداء؟. قيل له: ليس الاَمر على ما ظننت لما قدمنا من حجّة العقل والقرآن، والاستثناء فى هذا المكان ليس هو من الجملة لكنّه استثناء منقطع، ومعناه قل لا أسألكم عليه أجراً لكنّى ألزمكم المودة فى القربى و اسألكموها، فيكون قوله: (قُلْ لا أسْألكُمْ عليهِ أَجراً) كلاماً تاماً، قد استوفى معناه، ويكون قوله: (إلاّالمودة فى القُربى) كلاماً مبتدأً، فائدته لكن المودة فى القربى سألتكموها، وهذا كقوله: (فَسَجَد المَلائِكة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلاّإبْلِيس). [۲۳۸] والمعنى فيه لكن إبليس، وليس باستثناء من جملة. [۲۳۹] . وعلى ضوء ذلك يظهر معنى قوله سبحانه: (ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ). [۲۴۰] . وقد تبَين انّ حبّ الاَولياء والصالحين لصالح المحب قبل أن يكون لصالحهم. كما تبَين معنى قوله سبحانه فى شأن ذلك الاَجر: (ما أَسأَلُكُمْ عليه مِنْ أَجْر إلاّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً). [۲۴۱] . [صفحه ۱۴۷] فانّ اتخاذ السبيل لا يخلو من أحد احتمالين: ۱. مودَّة القربى والتفانى فى حبهم الذى سينتهى إلى العمل بالشريعة الموجب لنيل السعادة. ۲. نفس العمل بالشريعة الذى يصل إليها الاِنسان عن طريق حبهم ومودتهم. وبذلك ترجع الآيات الثلاث إلى معنى واحد من دون أن يكون بينهما أى تناف واختلاف. وقد جاء الجمع بين مفاد الآيات الثلاث فى دعاء الندبة الذى يشهد علو مضامينه على صدقه، حيث جاء فيه: «ثمّ جعلت أجر محمّد ص مودّتهم فى كتابك، فقلت (لا اسألكم عليه أجراً إلاّالمودة فى القربى)، وقلت: ما سألتكم من أجر فهو لكم، وقلت: (ما أسألكم عليه من أجر إلاّمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً)، فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلى رضوانك». وإلى ذلك يشير شاعر أهل البيت و يقول: موالاتهم فرض وحبهم هدى وطاعتهم ودٌّ ووُدُّهم تقوا وأمّا القربى فهو على وزن البشرى والزلفى بمعنى القرابة، يقول الزمخشرى: القربى مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى القرابة والمراد فى الآية «أهل القربى». [۲۴۲] . وقد استعمل القرآن الكريم لفظة القربى فى عامة الموارد بالمضاف، فتارة [صفحه ۱۴۸] بلفظة ذى، قال سبحانه: (وبالوالدين أَحساناً وذى القُربى واليَتامى). [۲۴۳] . وأُخرى بلفظة ذوى، قال سبحانه: (وَاتَى المال عَلى حُبِّهِ ذَوى القُربى وَاليَتامى). [۲۴۴] . وثالثة: بلفظة «أُولى»، قال سبحانه: (ما كان لِلنَّبىّ وَالّذينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ وَلَوكانُوا أُولى قُربى). [۲۴۵] . و قد جاءت مرة واحدة دون إضافة وهى نفس الآية المباركة، فلاَجل ذلك يلزم تقدير شىء

مثل لفظة «أهل» كما قدَّره الزمخشرى أو لفظاً غير ذلك مثل كلمة «ذى» أو «ذوى» أو «ذوى قربى». إلى هنا تمت الإجابة عن السؤال الأوّل حول الآية. السؤال الثانى [۲۴۶] . دلَّت الآية الكريمة على أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فرض مودة ذى القربى، على المسلمين ولكن يبقى هناك سؤال وهو انّ الآية تحتمل وجهين: أ: أن يكون المراد مودة ذوى القربى من أقرباء النبى وأهل بيته. ب: أن يكون المراد ودّ كلّمسلم أقربائه وعشيرته ومن يمُّت إليه بصلة، وليس فى الآية ما يدل على المعنى الأوّل. أقول: إنّ ذى القربى كما علمت بمعنى صاحب القرابة والوشيجة النسبية، ويتعَّين مورده بتعينُّ المنسوب إليه، وهو يختلف حسب اختلاف موارد [صفحه ۱۴۹] الاستعمال، ويستعان فى تعيينه بالقرائن الموجودة فى الكلام، وهى: الأشخاص المذكورون فى الآية أو ما دلَّ عليه سياق الكلام. فتارة يراد منه الأقرباء دون شخص خاص، مثل قوله سبحانه: (ما كانَلِلنَّبى وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ وَلَو كانُوا ذوى قُربى). [۲۴۷] . وقوله سبحانه: (فَإذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُربى). [۲۴۸] . فانّ ذكر النبى والذين آمنوا معه آية على أنّ المراد قريب كلّ إنسان إليهما، كما أنّ جملة (فإذا قلتم فاعدلوا) آية أنّ المراد كل إنسان قريب إليه. وأمّا قوله سبحانه: (قُلْ لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ المَوَدَةَ فِى القُربى) فالفعل المتقدّم عليه يعنى (لا أسألكم) آية انّ المراد أقرباء السائل، مثل قوله سبحانه: (ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِالقُرى فَلِلّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِى القُربى). [۲۴۹] . فانّ لفظة (على رَسُولِهِ) آية أنّ المراد أقرباء الرسول. وعلى ذلك فلابدّ من الرجوع إلى القرائن الحافَّة بالآية وتعيين المراد منه، و بذلك ظهر أنّالمراد هو أقرباء الرسول. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ناقداً انتخاب الخليفة الأوّل فى السقيفة لأجل انتمائه إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة: وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبى و أقرب [۲۵۰] . [صفحه ۱۵۰] السؤال الثالث إنّ سورة الشورى سورة مكية، فلو كان المراد من ذوى القربى هو عترته الطاهرة، أعنى: علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فلم يكن يومذاك بعض هؤلاء كالحسن والحسين (عليهما السلام)؟. والجواب: إنّ الميزان فى تمييز المكى عن المدنى، أمران، وكلاهما يدلان على أنّالآية نزلت فى المدينة المنورة. الأمر الأوّل: دراسة مضمون الآيات فقد كانت مكافحة الوثنية والدعوة إلى التوحيد والمعاد هى مهمة النبى قبل الهجرة، ولم يكن المجتمع المكّى مؤهلاً لبيان الأحكام والفروع أو مجادلة أهل الكتاب من اليهود و النصارى، ولذلك تدور أغلب الآيات المكّية حول المعارف والعقائد والعبرة بقصص الماضين، و ما يقرب من ذلك. ولمّا استتب له الأمر فى المدينة المنورة واعتنق أغلب سكّانها الإسلام حينها سنحت الفرصة لنشر الإسلام وتعاليمه و لمناظرة اليهود والنصارى حيث كانوا يثيرون شبهاً ويجادلون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلت آيات حول اليهود و النصارى فى السور الطوال. فلو كان هذا هو الميزان بغية تميّز المكّى عن المدنى، فالآية مدنية قطعاً دون ريب لعدم وجود أيَّة مناسبة لسؤال الأجر أو طلب مودة القربى من أُناس لم يؤمنوا به بل حشَّدوا قواهم على قتله، بخلاف البيئة الثانية فقد كانت تقتضى ذلك حيث التفَّ حوله رجال من الأوّس والخزرج وطوائف كثيرة من الجزيرة العربية. [صفحه ۱۵۱] الأمر الثانى: الاعتماد على الروايات والمنقولات فلو كان هذا هو الميزان فقد صرح كثير منهم بأنّ أربعةً آيات من سورة الشورى مكّية، حتى أنّ المصاحف المطبوعة فى الأزهر وغيره، تصرح بذلك و تُقرأ فوق السورة هذه الجملة: سورة الشورى مكية الآيات إلاّ ثلا ث وعشرين وأربع وعشرين وسبع وعشرين. أضف إلى ذلك انّ كثيراً من المفسرّين و المحدِّثين صرحوا بذلك. [۲۵۱] . وهذا هو البقاعىّ مؤلف «نظم الدرر وتناسب الآيات والسور» يصرح بأنّ الآيات مكية، كما نقله المحقّق الزنجانى فى «تاريخ القرآن». [۲۵۲] . السؤال الرابع الإنسان مفطور على حب الجميل وكراهة القبيح فيكون الودّأمراً خارجاً عن الاختيار، فكيف يقع فى دائرة السؤال ويطلبه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من المؤمنين مع أنّه كذلك. والجواب: أوّلاً: انّالحبّ لو كان أمراً خارجاً عن الاختيار فلا يتعلَّق به الأمر، كما لا يتعلَّق به النهى، مع انّه سبحانه ينهى عن ود من حادَّ اللّه ورسوله، ويقول: (لا تَجد قَوماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ من حادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ). [۲۵۳] . [صفحه ۱۵۲] كما أنّه ص يدعو إلى التراحم والتعاطف النابعين عن الود والحب، ويقول: مثل المؤمنين فى توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شىء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». [۲۵۴] . كلّ ذلك يدل على انّ الودّ والبغض ليس على النسق الذى وصفه السائل، ولذلك نرى الدعوة الكثيرة إلى الحب فى اللّه والبغض فى اللّه. قال الإمام الصادق (عليه

السلام): «من أوثق عرى الإيمان أن تحب فى اللّه وتبغض فى اللّه». [۲۵۵] . وقد كتب الإمام على (عليه السلام) إلى عامله فى مصر مالك الأشتر رسالة قال فيها: «واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم». [۲۵۶] . روى الخطيب فى تاريخه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «عنوان صحيفة المؤمن حبّ على بن أبى طالب (عليه السلام)». [۲۵۷] . و قال ص: «من سرّه أن يحيا حياتى، ويموت مماتى، ويسكن جنة عدن غرسها ربى، فليوال علياً بعدى، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدى، فانّهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً و علماً». [۲۵۸] . روى أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحبنى فليحب علياً». [۲۵۹] . [صفحه ۱۵۳] و أخرج أحمد فى مسنده عن الرسول: «من أحبنى وأحب هذين وأباهما و أُمّهما، كان معى فى درجتى يوم القيامة». [۲۶۰] . وثانياً: أنّ الإيصاء إنّما لا يفيد إذا لم يتوفر فى الموصى له ملاك الحب والود كما إذا كان الرجل محطاً للرذائل الأخلاقية، وأمّا إذا كان الموصى له إنساناً مثالياً متحلياً بفضائل الأخلاق ومحاسنها، فانّالإيصاء به يعطف النظر إليه وبالتالى يجيش حبه كلّما تعمّقت الصلة به. وحاصل الكلام: أنّ دعوة الناس إلى الحبّ تقوم على إحدى دعامتين: الأُولى: الاشادة بفضائل المحبوب وكمالاته التى توجد فى نفس السامع حبّاً وولعاً إليه. الثانية: الإيصاء بالحب والدعوة إلى الودّ، فانّه يعطف نظر السامع إلى الموصى له، فكلّما توطّدت الأواصر بنيهما وانكشفت آفاق جديدة من شخصيته ازداد الحبّ والود له. وعلى كلّتقدير فالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المحبوب التام لعامة المسلمين، فحبُّه لا ينفك عن حبّ من أوصى بحبِّه وأمر بودّه. وخير ما نختم به هذا البحث حديث مروى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نقله صاحب الكشاف حيث قال، قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّآل محمّد مات تائباً، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشرّه ملك الموت بالجنة ثمّ منكر ونكير، ألا و من مات على حبّآل محمد يُزفُّ إلى الجنة كما تزفُّ [صفحه ۱۵۴] العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حبّ آل محمّد فتح اللّه له فى قبره بابين إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّآل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيساً من رحمة اللّه، ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا و من مات على بغض آل محمّد لم يشم رائحة الجنة». [۲۶۱] . وروى أيضاً: انّه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال ص: «على و فاطمة وأبناهما». [۲۶۲] . [صفحه ۱۵۵]

الصلوات عليهم

إنّمن حقوق أهل البيت (عليهم السلام) هى الصلوات عليهم عند الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال سبحانه: (إِنَّ اللّهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِىّ يا أَيُّهَاالّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً). [۲۶۳] . ظاهر الآية هو تخصيص الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن فهمت الصحابة انّ المراد هو الصلاة عليه وعلى أهل بيته، وقد تضافرت الروايات على ضمّ الآل إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عند التسليم والصلاة عليه، وقد جاء ذلك فى الصحاح والمسانيد، نقتصر منها على ما يلى: ۱. أخرج البخارى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: لقينى كعب بن عجرة، قال: ألا أُهدى لك هدية سمعتها من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: بلى، فأهدها لى، فقال: سألنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلنا: يا رسول اللّه، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فانّ اللّه قد علّمنا كيف نسلم، قال: «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم [صفحه ۱۵۶] وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حَميدٌ مجيد». [۲۶۴] . وأخرجه أيضاً فى كتاب التفسير عند تفسير سورة الأحزاب. [۲۶۵] . كما أخرجه مسلم فى باب الصلاة على النبى من كتاب الصلاة. [۲۶۶] . ۲.أخرج البخارى أيضاً، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قلنا يا رسول اللّه، هذا التسليم فكيف نصلّى عليك؟ قال: «قولوا: اللّهمّ

صلّ على محمّد عبدك ورسولك، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم». [۲۶۷] . ۳. أخرج البخارى، عن ابن أبى حازم عن يزيد، قال: «كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمّد و آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم». [۲۶۸] . ۴. أخرج مسلم، عن أبى مسعود الأنصارى، قال: أتانا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) و نحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا اللّه تعالى أن نصّلى عليك، يا رسول اللّه: فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تمنينا انّه لم يسأله. ثمّ قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليت على آل إبراهيم،وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على [صفحه ۱۵۷] آل إبراهيم فى العالمين انّك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم». [۲۶۹] . إنّ ابن حجر ذكر الآية الشريفة، وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وانّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه، لمّا سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، قال: وهذا دليل ظاهر على أنّالأمر بالصلاة على أهل بيته، وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلّا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عُقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلمّا أُجيبوا به دلّعلى أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به،وانّه ص أقامهم فى ذلك مقام نفسه، لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم، ومن ثمّ لمّا أُدخل من مرّفى الكساء، قال: «اللّهمّ انّهم منّى وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علىّ وعليهم»، وقضية استجابة هذا الدعاء: انّ اللّه صلّى عليهم معه فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه. ويروى: لا تصلوا عليّالصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاةالبتراء؟ قال: تقولون: اللّهمّ صلّ على محمّد وتمسكون بل قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمد. ثمّ نقل عن الإمام الشافعى قوله: يا أهل بيت رسول اللّه حبكم فرض من اللّه فى القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر إنّكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه. [۲۷۰] . [صفحه ۱۵۸] هذا كلّه حول الصلاة على الآل عند الصلاة على الحبيب. وأما حكم الصلاة على آل البيت فى التشهد، فقال أكثر أصحاب الشافعى: انّه سنّة. وقال التربجى: من أصحابه هى واجبة، ولكن الشعر المنقول عنه يدل على وجوبه عنده، ويؤيده رواية جابر الجعفى ـ الذى كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وفى طبقة الفقهاء ـ عن أبى جعفر عن أبى مسعود الأنصارى، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «من صلّى صلاة لم يصل فيها علىّ ولا أهل بيتى لم تقبل منه». [۲۷۱] . وأبو جعفر الجعفى ممّن ترجمه ابن حجر فى تهذيبه، ونقل عن سفيان فى حقّه: ما رأيت أورع فى الحديث منه،وقال وكيع: مهما شككتم فى شىء فلا تشكّوا فى أنّ جابراً ثقة. وقال سفيان أيضاً لشعبة: لأن تكلّمت فى جابر الجعفى لأتكلمنّ فيك إلى غير ذلك. [۲۷۲] . قال ابن حجر: أخرج الدار قطنى والبيهقى حديث من صّلى صلاة ولم يصل فيها علىّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه، وكأنّهذا الحديث هو مستند قول الشافعى انّ الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه ص لكنّه ضعيف، فمستنده الأمر فى الحديث المتفق عليه، قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصحّ. [۲۷۳] . وقال الرازى: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء [صفحه ۱۵۹] خاتمة التشهد فى الصلاة، وقوله: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد. وهذا التعظيم لم يوجد فى حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدل على أنّ حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعى: يا راكباً قف بالمحصَّب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كما نظم الفرات الفائض إن كان رفضاً حبُّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّى رافضى [۲۷۴] . وقال النيسابورى فى تفسيره عند قوله تعالى: (قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِى القُربى) كفى شرفاً لآل رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كلّصلاة. [۲۷۵] . وروى محب الدين الطبرى فى الذخائر عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى(رض) عنه انّه كان يقول: لو صلّيت صلاة لم أُصلِّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنّها تقبل. [۲۷۶] . وقال المحقّق الشيخ حسن بن علىّ السقاف: تجب الصلاة على آل النبى ص فى التشهد الأخير على الصحيح المختار، لأنّ أقصر صيغة وردت عن سيدنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثبت فيها ذكر الصلاة على الآل، ولم ترد صيغة خالية منه فى صيغ تعليم

الصلاة، فقد تقدّم حديث سيدنا زيد بن خارجة، انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: [صفحه ۱۶۰] «صلّوا عليّ واجتهدوا فى الدعاء، وقولوا:اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد». [۲۷۷] . بلاغ وإنذار لقد تبين ممّا سبق كيفية الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و انّه لا يصّلى عليه إلّا بضم الآل إليه، ومع ذلك نرى أنّه قد راجت الصلاة البتراء بين أهل السنَّة فى كتبهم ورسائلهم، مع أنّ هذه البلاغات من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) نصب أعينهم ولكنَّهم رفضوها عملاً واكتفوا بالصلاة عليه خاصة، حتى أنّ ابن حجر الهيتمى(۸۹۹ ـ ۹۷۴هـ) نقل كيفية الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن كتابه المطبوع ملىء بالصلاة البتراء. وإليك نصّ ما قال: ويروى لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء، قال: تقولون: اللّهمّ صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ولا ينافى ما تقرر حذف الآل فى الصحيحين، قالوا: يا رسول اللّه: كيف نصلّى عليك؟ قال: قولوا اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى أزواجه وذريّته، كما صليت على إبراهيم إلى آخره. لَانّ ذكر الآل ثبت فى روايات أُخر، وبه يعلم أنّه ص قال: ذلك كلّه فحفظ بعض الرواة مالم يحفظه الآخر. [۲۷۸] . وفى الختام نذكر ما ذكره الرازى، انّه قال: أهل بيته ساووه فى خمسة أشياء: فى الصلاة عليه و عليهم فى التشهد، وفى السلام، والطهارة، وفى تحريم الصدقة، وفى المحبّة. [۲۷۹] . [صفحه ۱۶۱]

دفع الخمس اليهم

الأصل فى ضريبة الخمس، قوله سبحانه:(وَاعْلَمُوا انّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىءٍ فَانّ للّه خُمُسهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُربى وَالْيَتامى وَالمَساكِين وَابْنِ السَّبيل إِنْكُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَومَ الفُرقانِ يَومَ التَّقَى الجَمْعانِ وَاللّهُ عَلى كُلِّ شىءٍ قَدِير...). [۲۸۰] . نزلت الآية يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهى غزوة بدر الكبرى، واختلف المفسرون فى تفسير الموصول فى «ما غنمتم»هل هو عام لكلّما يفوز به الإنسان فى حياته، كما عليه الشيعة الإمامية، أو خاص بما يظفر به فى الحرب، وهذا بحث مهم لا نحوم حوله، لَانّه خارج عّما نحن بصدده، وقد أشبعنا الكلام فيه فى كتابنا«الاعتصام بالكتاب والسنة» وأثبتنا بفضل القرآن والأحاديث النبوية انّالخمس يتعلّق بكلّ ما يفوز به الإنسان فى حياته، وانّ نزول الآية فى مورد الغنائم الحربية لا يُخصص الحكم الكلى. [۲۸۱] . [صفحه ۱۶۲] إنّما الكلام فى تبيين مواضع الخمس، وقد قسم الخمس فى الآية إلى ستة أسهم، أعنى: للّه و للرسول و لذى القربى واليتامى و المساكين وابن السبيل. فالسهمان الأولان واضحان، إنّما الكلام فى السهم الثالث ومن بعده، فالمراد من ذى القربى هم أقرباء النبى وذلك بقرينة الرسول ص، و قد سبق منّا القول فى تفسير آية المودة:انّ تبيين المراد من القربى رهن القرائن الحافَّة بالآية فربما يراد منها أقرباء الناس، مثل قوله: (وَإِذا قُلتُمْ فاعْدِلُوا وَلَو كانَذا قُربى). [۲۸۲] . المراد أقرباء المخاطبين، بقرينة قوله: (قلتم فاعدلوا) نظير قوله:(وإذا حضر القسمة ذوى القربى) والمراد أقرباء الميت. وعلى ضوء ذلك فإذا تقدَّم عليه لفظ «الرسول» يكون المراد منه أقرباء الرسول كما فى الآية (للرسول و لذى القربى)، و مثله قوله: (ما أفاءَ اللّهُ عَلى رسولِهِ من أهلِ القُرى فللّهِ وللرَّسول وَ لِذِى القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِين وَ ابْن السَّبيل). [۲۸۳] وقوله: (فَآت ذَا القُرْبَى حَقّهُ والمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ). [۲۸۴] فالمراد من ذى القربى هم أقرباء الرسول بقرينة توجّه الخطاب إليه أعنى «فآت». ومنه يعلم المراد من المساكين فى الآيتين وآية الخمس، أى مساكين ذى القربى وأيتامهم وأبناء سبيلهم. هذا هو المفهوم من الآية، و على ما ذكرنا فكلّما يفوز به الإنسان فى مكسبه ومغنمه أو ما يفوز به فى محاربة المشركين والكافرين، يُقسم خمسه بين ستة سهام كما عرفت. [صفحه ۱۶۳] ويؤيده الروايات التالية: ۱. روى عن ابن عباس: كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسّم الخمس على ستة: للّه وللرسول سهمان وسهم لأقاربه، حتى قبض. [۲۸۵] . ۲. وروى عن أبى العالية الرياحى: كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة فتكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثمّ يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه، فيجعله للكعبة وهو سهم اللّه، ثم يقسّم ما بقى،على خمسة أسهم: فيكون سهم للرسول، وسهم لذى القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. قال: والذى جعله للكعبة فهو سهم اللّه. [۲۸۶] . وأمّا تخصيص بعض سهام الخمس بذى القربى ومن جاء بعدهم من اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلأجل الروايات الدالة على أنّه لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس

الخمس. أخرج الطبرى عن مجاهد، انه قال: كان آل محمّد ص لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم الخمس [۲۸۷] . و أخرج ايضاً عنه: قد علم اللّه أنّفى بنى هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة [۲۸۸] . كما تضافرت الروايات عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) أنّ السهام الاَربعة من الخمس، لآل محمّد «(صلى الله عليه وآله وسلم). [۲۸۹] . [صفحه ۱۶۴] هذا ظاهر الآية ويا للاَسف لعب الاجتهاد دوراً كبيراً فى تحويل الخمس عن أصحابه وظهرت أقوال لا توافق النص القرآنى، وإليك مجملاً من آرائهم: ۱. قالت الشافعية و الحنابلة: تقسم الغنيمة، وهى الخمس إلى خمسة أسهم: واحد منها سهم الرسول ويصرف على مصالح المسلمين، و واحد يعطى لذوى القربى وهم من انتسب إلى هاشم بالابوة من غير فرق بين الاَغنياء والفقراء، والثلاثة الباقية تنفق على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل سواء أكانوا من بنى هاشم أو من غيرهم. ۲. وقالت الحنفية: إنّسهم الرسول سقط بموته، أمّا ذوو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون لفقرهم لا لقرابتهم من الرسول. ۳. وقالت المالكية: يرجع أمر الخمس إلى الإمام يصرفه حسبما يراه من المصلحة. ۴. وقالت الإمامية: إنّ سهم اللّه وسهم الرسول وسهم ذوى القربى يفوّض أمرها إلى الإمام أو نائبه، يضعها فى مصالح المسلمين، والاَسهم الثلاثة الباقية تعطى لاَيتام بنى هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ولا يشاركهم فيها غيرهم. [۲۹۰] . ۵. وقال ابن قدامة فى المغنى بعد ما روى أنّأبا بكر وعمر قسّما الخمس على ثلاثة أسهم: و هو قول أصحاب الرأى أبى حنيفة وجماعته، قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة: اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأسقطوا سهم رسول اللّه بموته وسهم قرابته أيضاً. ۶. وقال مالك: الفىء والخمس واحد يجعلان فى بيت المال. ۷. وقال الثورى: والخمس يضعه الإمام حيث أراه اللّه عزّوجلّ. [صفحه ۱۶۵] وما قاله أبو حنيفة مخالف لظاهر الآية فإنّ اللّه تعالى سمّى لرسوله وقرابته شيئاً وجعل لهما فى الخمس حقاً، كما سمّى الثلاثة أصناف الباقية، فمن خالف ذلك فقد خالف نصّ الكتاب، و أمّا جعل أبى بكر وعمر سهم ذى القربى، فى سبيل اللّه، فقد ذُكر لاَحمد فسكت وحرك رأسه ولم يذهب إليه، و رأى أنّ قول ابن عباس و من وافقه أولى، لموافقته كتاب اللّه وسنة رسوله. [۲۹۱] . وقد أجمع أهل القبلة كافة على أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يختص بسهم من الخمس ويخص أقاربه بسهم آخر منه، وأنّه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه اللّه إليه، واختار اللّه له الرفيق الاَعلى. فلمّا ولى أبوبكر تأوّل الآية فأسقط سهم النبى وسهم ذى القربى بموت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، و منع بنى هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم. قال الزمخشرى عن ابن عباس: الخمس على ستة أسهم: للّه ولرسوله سهمان، وسهم لاَقاربه، حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة، وكذلك روى عن عمر و من بعده من الخلفاء، قال: وروى أنّ أبابكر منع بنى هاشم الخمس. [۲۹۲] . وقد ارسلت فاطمة «عليها السلام»، تسأله ميراثها من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أفاء اللّه عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلّمه [صفحه ۱۶۶] حتى توفيت، وعاشت بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً ولم يوَذن بها أبا بكر وصلّى عليها. [۲۹۳] . وفى صحيح مسلم عن بريد بن هرمز، قال: كتب نجدة بن عامر (الحرورى الخارجى) إلى ابن عباس، قال ابن هرمز: فشهدت ابن عباس حين قرأ الكتاب وحين كتب جوابه، وقال ابن عباس: واللّه لولا أن أرد عن نَتْن يقع فيه، ما كتبت إليه ولا نُعْمةَ عينٍ، قال: فكتب إليه إنّك سألت عن سهم ذى القربى الذى ذكرهم اللّه من هم؟ وإنّا كنّا نرى أنّ قرابة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) هم نحن فأبى ذلك علينا قومنا. [۲۹۴] . [صفحه ۱۶۷]

الفىء لاهل البيت

الفىء عبارة عن الغنائم التى يحصل عليها المسلمون بلا خيل ولا ركاب، فإنّ هذه الاَموال تقع تحت تصرّف الرسولص باعتباره رئيساً للدولة الإسلامية، وكان الفىء فى حياة الرسول ص أمراً هاماً فى تنمية الثروة فى المجتمع الإسلامى ولا سيما إنتقال الثروة من يد الاَغنياء إلى يد الفقراء. والاَساس فيه قوله سبحانه: (وَما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍوَلكِنَّ اللّه يُسَلِّطُ

رُسُلِهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير). [۲۹۵] . (ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرى فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُربى وَاليَتامى وَالمَساكِين وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دَولَةً بَيْنَ الأَغْنياء مِنْكُمْ وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ و ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقاب). [۲۹۶] . بَيَّن سبحانه أحكام الفيء، وقال: (وَما أفاءَ اللّه عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ) الضمير [صفحه ۱۶۸] يرجع إلى اليهود، ولكن الحكم سار على جميع الكفّار. (فَما أَوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا مِنْ رِكاب) أى الفيء عبارة عن الأموال التى استوليتم عليها بلا إيجاف خيل ولا إبل ولم تسيروا إليها على خيل ولا إبل. هذا هو الفيء، وأمّا المواضع التى يصرف بها هذا الفيء فقد بيّنها سبحانه فى الآية الثانية، وقال: (ما أَفاءَ اللّه عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرى)، أى ما ردَّ ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك اللّه إيّاهم ذلك، (فللّه) و (للرَّسُول) و (لذى القُربى)، فهو للّه بالذات وللرسول و لذى القربى بتمليك اللّه إيّاه. والمراد من ذى القربى بقرينة الرسول أهل بيت رسول اللّه وقرابته، و هم بنو هاشم. (واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى منهم، بقرينة الرسول، فيكون المعنى ويتامى أهل بيته ومساكينهم وأهل السبيل منهم. وعلى ذلك فالفيء يقسم على ستة أسهم: ۱. سهم للّه المالك لكلّشيء غير محتاج لشيء، جعل نفسه قريناً لسائر الاسم تكريماً السهام. ۲. سهم الرسول و هو يؤمن بذلك حاجاته وحاجة الدولة الإسلامية. ۳. سهم ذوى القربى أى أقرباء الرسول، فبما أنّ الصدقة تحرم عليهم حلّ ذلك محلّه. ۴. سهم اليتامى. ۵. سهم المساكين. ۶. سهم أبناء السبيل. [صفحه ۱۶۹] وبكلمة جامعة «الغنيمة» ـ كلّما أُخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقله إلى دار الإسلام، ومالا يمكن نقله إلى دار الإسلام ـ لجميع المسلمين ينظر فيه الإمام، و يصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح المسلمين. «الفيء» ـ كلّما أخذ من الكفّار بغير قتال أو انجلاء أهلها ـ للنبى، يضعه فى المذكورين فى هذه الآية، ولمن قام مقامه من الأئمّة وقد بيّنه سبحانه فى ضمن الآيتين. [۲۹۷] . [صفحه ۱۷۰]

الانفال لاهل البيت

وردت لفظة «الأنفال» فى القرآن مرتين فى آية واحدة، قال سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفالِ قُلِ الأَنْفالُ للّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّه وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطيعُوا اللّهَوَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين). [۲۹۸] . أقول: إنَّ الضرائب الواردة فى القرآن الكريم لا تتجاوز الأربع: أ: الزكاة ومقسمها ثمانية. ب: الخمس ومقسمه هو الستة. ج: الفيء ومقسمه مقسم الخمس كما عرفت. د: الأنفال ومقسمها اثنان، وهما ما ذكر فى الآية من قوله:(للّهِ والرَّسُول)، لكن الكلام فى بيان المراد من الأنفال. اختلف المفسّرون فى تفسير الأنفال اختلافاً كثيراً، والذى يمكن أن يقال انّالأنفال من النفل و هو الزائد من الأموال، فيشمل كلّ زائد عن حاجات الحياة، [صفحه ۱۷۱] و لكن السنة المروية عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فسرته بالنحوالتالى: ۱. روى حفص البخترى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «الأنفال مالم يوجف عليه بخيل أو ركاب، أوقوم صالحوا، أو قوم أُعطوا بأيديهم، وكلّ أرض خربة، وبطون الأودية، فهو لرسول اللّه، وهو للإمام بعده يضعه حيث يشاء». [۲۹۹] . ۲. وروى حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن الإمام الكاظم «عليه السلام» فى حديث: «والأنفال كلّأرض خربة باد أهلها، وكلّأرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولكن صالحوا صلحاً وأعطوا بأيديهم على غير قتال، وله رؤوس الجبال وبطون الأودية والآجام وكلّ أرض ميتة لا ربّ لها، وله صوافى الملوك ما كان فى أيديهم من غير وجه الغصب، لأنّ الغصب كلّه مردود، و هو وارث من لا وارث له، يعول من لا حيلة له». [۳۰۰] . ۳. موثقة إسحاق بن عمّار المروية فى تفسير القمى قال: سألت أبا عبداللّه (عليه السلام) عن الأنفال، فقال (عليه السلام):«هى القرى التى قد خربت وانجلى أهلها، فهى للّه وللرسول ص، و ما كان للملوك فهو للإمام، و ما كان من الأرض الخربة لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكلّأرض لا ربّلها، والمعادن منها، من مات و ليس له مولى فماله من الأنفال». [۳۰۱] . إلى غير ذلك من الروايات. وعلى الرواية الأُولى يكون الفيء من أقسام الأنفال، ولم نجد فى تفاسير أهل السنة من يوافق الشيعة الإمامية فى تفسير الأنفال إلاّ شيئاً قليلاً، فقد عقد أبو [صفحه ۱۷۲] إسحاق الشيرازى باباً للأنفال وفسرها بقوله: يجوز لأمير الجيش أن ينفل لمن فعل فعلاً يفضى إلى الظفر بالعدو، كالتجسيس، والدلالة على طريق أو قلعة، أو التقدم بالدخول إلى دار الحرب أو الرجوع إليها بعد خروج الجيش منها. [۳۰۲] . [صفحه ۱۷۳]

ترفيع بيوتهم

لقد أذن اللّه تعالى فى ترفيع البيوت التى يذكر فيها اسمه ويسبّح له بالغدوّ والآصال فى آية مباركة، وقال:(فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَفِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ وَالآصال- رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَاقام الصَّلاة وإيتاءِالزَّكاة يَخافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصار). [۳۰۳] . وتفسير الآية رهن دراسة أمرين: الأَوّل: ما هو المقصود من البيوت؟ الثانى: ما هو المراد من الرفع؟ أمّا الأَوّل فربما قيل انّالمراد من البيوت هو المساجد. قال صاحب الكشّاف: (فى بيوت) يتعلّق بما قبله، مثل نوره كمشكاة فى بعض بيوت اللّه، وهى المساجد. [۳۰۴] . ولكن الظاهر أنّ التفسير غير صحيح، لأَنّ البيت هو البناء الذى يتشكّل من [صفحه ۱۷۴] جدران أربعة وعليها سقف قائم، فالكعبة بيت اللّه لأجل كونها ذات قوائم أربعة وعليها سقف، والقرآن يعزّ عن اليت بالمكان المسقَّف، ويقول:(وَلَولا أَنْ يَكُونَ النّاسُ أُمّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمعارِج عَلَيْها يَظهَرُون). [۳۰۵] . فالمستفاد من الآية أنّ البيت لا ينفك عن السقف، هذا من جانب.ومن جانب آخر: لا يشترط فى المساجد وجود السقف، هذا هو المسجد الحرام تراه مكشوفاً تحت السماء ودون سقف يظلّله. وقد ورد لفظ البيوت فى القرآن الكريم (۳۶ مرّة)بصور مختلفة، واستعمل فى غير المسجد، يقول سبحانه: (طَهِّرا بَيْتِىَ لِلطّائِفينَ وَالعاكِفينَ وَالرُّكَّعِالسُّجُود). [۳۰۶] . (وَاذْكُرْن ما يُتلى فى بُيوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللّه وَالحِكْمَة). [۳۰۷] . إلى غير ذلك من الآيات، فكيف يمكن تفسيره بالمساجد؟ وبما أنّ جميع المساجد ليس على هذا الوصف، التجأ صاحب الكشاف بإقحام كلمة«بعض»، وقال: فى بعض بيوت اللّه وهى المساجد، وهو كما ترى، وهناك حوار دار بين قتادة فقيه البصرة وأبى جعفر الباقر (عليه السلام) يؤيد ما ذكرنا. حضر قتادة فى مجلس الإمام أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فقال له الإمام: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى. فقال أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: نعم. قال قتادة: أصلحك اللّه، ولقد جلستُ بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم، ما اضطرب قدامك! [صفحه ۱۷۵] فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما تدرى أين أنت؟ أنت بين يدى (بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَفِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ وَالآصال- رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وإقام الصَّلاة وإيتاءِالزَّكاة) ونحن أُولئك. فقال له قتادة: صدقت، واللّه جعلنى فداك، واللّه ماهى بيوت حجارة ولا طين. [۳۰۸] . و يؤيّد ما رواه الصدوق فى الخصال عن النبيّص: ان اللّه اختار فى البيوتات أربعة ثم قرأ هذه الآية: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً و آلَ إِبْراهِيمَ و آلَ عِمْرانَ لِلْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْض). [۳۰۹] [۳۱۰] . وعلى هذا الحوار فالمراد من البيت، بيت الوحى وبيت النبوّة، ومن يعيش فى هذه البيوت من رجال لهم الأوصاف المذكورة فى الآية الكريمة. هذا كلّه حول الأمر الأوّل، وأمّا الأمر الثانى، أعنى ما هو المراد من الرفع؟ فيحتمل وجهين: الأَوّل: أن يكون المراد الرفع المادى الظاهرى الذى يتحقق بإرساء القواعد وإقامة الجدار والبناء، كما قال سبحانه:(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهيمُ الْقَواعِد مِنْ البَيْت وَإِسماعيل). [۳۱۱] و على هذا تدل الآية على جواز تشييد بيوت الأنبياء والأولياء وتعميرها فى حياتهم بعد مماتهم. الثانى: أن يكون المراد الرفع المعنوى والعظمة المعنوية، وعلى هذا تدل الآية بتكريم تلك البيوت وتبجيلها وصيانتها وتطهيرها مما لا يليق بشأنها. [صفحه ۱۷۶] قال الرازى: المراد من رفعها، بنائها لقوله تعالى: (رَفَعَ سَمْكَها وفَسَوّاها) [۳۱۲] و ثانيها (ترفع) اى تعظم. [۳۱۳] . هذا كلّه حسب ما تدل عليه الآية، وأمّا بالنظر إلى الروايات فنذكر منها ما يلى: ۱. روى الحافظ السيوطى عن أنس بن مالك و بريدة، انّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ قوله تعالى: (فى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْترفَع) فقام إليه رجل وقال: أىّ بيوت هذه يا رسول اللّه؟ فقال ص: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر وقال: يا رسول اللّه، وهذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت على و فاطمة (عليهما السلام). فقال النبيص: نعم من أفاضلها. [۳۱۴] . ۲. روى ابن شهراشوب عن تفسير مجاهد و أبى يوسف، يعقوب بن سفين، قال ابن عباس فى قوله تعالى: (وَإِذا رَأَوا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً): إنّدحية الكلبى جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند احجار الزيت، ثمّضرب بالطبول ليؤذن الناس بقدومه، فمضوا الناس إليه إلّاعلى والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) وسلمان وأبو ذر والمقداد وصهيب، وتركوا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

قائماً يخطب على المنبر، فقال النبيص: قد نظر اللّه يوم الجمعة إلى مسجدى فلولا هوَلاء الثمانية الذين جلسوا فى مسجدى لَاضرمت [صفحه ۱۷۷] المدينة على أهلها ناراً، وحُصِّبوا بالحجارة كقوم لوط، ونزل فيهم رجال لا تلهيهم تجارة. [۳۱۵] . وقد وصف الإمام أمير المومنين (عليه السلام) هوَلاء الرجال الذين يسبِّحون فى تلك البيوت؛ عند تلاوته: (رِجالٌ لا تُلهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِاللّه): وإنّ للذكر لَاهلاً أخذوه من الدُّنيا بدلاً، فلم يشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواجر عن محارم اللّه فى أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكأنَّما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنّما اطَّلعوا غيوب أهل البرزخ فى طول الإقامة فيه، وحقَّقت القيامة عليهم عِداتهُا، فكشفوا غطاء ذلك لَاهل الدنيا، حتى كأنّهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون. [۳۱۶] . [صفحه ۱۷۸]

اهل البيت فى كلام الامام على

إلى هنا تمّ ما أردنا استعراضه من سماتهم وحقوقهم فى القرآن الكريم، ولو حاول الباحث أن يستعرض أوصافهم وخصوصيّاتهم الواردة فى الَاحاديث النبوية لاحتاج إلى تأليف مفرد، و بما انّمحور بحوثنا هو القرآن الكريم اقتصرناعلى ذلك، وهذا لا يمنعنا أن نذكر ما روى عن على (عليه السلام) فى ذلك المجال: ۱. يقول فى حقّهم: «...فَإنّهم عيش العلم،وموت الجهل، هم الذين يُخبركم حُكمُهم عن علمهم، وصَمتُهم عن منطقهم، وظاهرهُم عن باطنهم، لا يخالفون الدين، ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهدُ صادق، وصامت ناطق». [۳۱۷] . ۲. وفى خطبة أُخرى: «لا يقاس بآل محمّد ص من هذه الاُمّة أحد، ولا يُسوَّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساسُ الدين،وعمادُ اليقين، إليهم يفيءُ الغالى، وبهم يُلحق التالى، ولهم خصائص حقِّ الولاية، وفيهم الوصيةوالوراثة، الآن إذا رجع الحقّ إلى أهله، ونُقل إلى منتقله». [۳۱۸] . [صفحه ۱۷۹] ۳. وقال (عليه السلام): «نحنُ الشعار والَاصحاب، والخزنة والَابواب، ولا تؤتى البيوتُ إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّى سارقاً». فيهم كرائمُ القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا. [۳۱۹] . ۴. وقال (عليه السلام):«ألا إنّ مثل آل محمّدٍ ص، كَمَثَلِ نجوم السَّماء: إذا خوى نجم، طَلَعَ نَجم، فكأنّكم قد تكاملت من اللّه فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون». [۳۲۰] . ۵.وقال (عليه السلام): «ألا و إنّ لكلِّ دمٍ ثائراً، ولكلِّ حقٍّ طالباً و إنَّ الثّائِرَ فى دمائنا كالحاكِمِ فى حقِّ نفسِهِ، وهُوَ اللّهُ الذى لا يُعجِزُهُ من طَلَبَ، ولا يفُوتُهُ من هرب». [۳۲۱] . ۶. وقال (عليه السلام): «أيّهاالناس، خذوها عن خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّه يموت من ماتَ منّا وليس بميِّت، ويبلى من بَلى منَّا وليس ببال»، فلا تقولوا بما لا تعرِفُون، فإنّ أكثرَ الحقِّ فيما تُنكِرون، واعذِروا من لا حُجّة لكم عليه ـ و هو أنا ـ ألم أعمل فيكم بالثَّقل الَاكبر، وأترُك فيكم الثَّقل الَاصغر، قد ركزتُ فيكُمْ رايةَ الإيمانِ، ووقفتُكُم على حُدودِ الحلالِ والحرام، وألبستُكُمُ العافيةَ من عدلى، وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى،وأريتُكُم كرائمَ الَاخلاقِ من نفسى، فلا تستعملوا الرأىَ فيما لا يُدْرِكُ قعرَهُ البصرُ، ولا تتغلغل إليهِ الفِكرُ». [۳۲۲] . إلى غير ذلك الكلمات الناصعة فى خطبه ورسائله وقصار كلمه مما نقله [صفحه ۱۸۰] الرضى فى «نهج البلاغة» وغيره فى الكتب الحديثية والتاريخية، ولنقتصر على ذلك فانّ الإفاضة فى القول فى هذا المضمار يوجب الإطالة. وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين جعفر السبحانى قم ـ موَسسه الإمام الصادق (عليه السلام) فى صبيحة يوم الثلاثاء الموافق لـ ۱۲ من شهر رمضان المبارك من شهور عام ۱۴۲۰ هـ

پاورقى

[۱] الَاحزاب: ۲۸. [۲] الَاحزاب: ۳۰. [۳] الَاحزاب: ۳۲. [۴] الَاحزاب: ۳۳. [۵] التحريم: ۱. [۶] التحريم: ۴. [۷] التحريم: ۵. [۸] هود: ۷۳. [۹] الَاحزاب: ۳۳. [۱۰] هود: ۷۲. [۱۱] انظر سورة الَاحزاب، الآيات: ۲۸ ـ ۳۴. [۱۲] لسان العرب: ۱۱-۲۹، مادة «أهل». [۱۳] معجم مقاييس اللغة: ۱-۱۵۰. [۱۴] المفردات: ۲۹. [۱۵] القاموس المحيط: ۳-۳۳۱. [۱۶] هود: ۷۳. [۱۷] القصص: ۳۰. [۱۸] الشيعة وأهل

البيت: ۱۶ ـ ۱۷. [۱۹] وهناك أقوال أخر شاذة جداً ستوافيك فى مختتم البحث. [۲۰] العصر: ۲. [۲۱] التوبة: ۷۳. [۲۲] المعارج: ۱۹. [۲۳] هود: ۷۳. [۲۴] الكشاف: ۲-۱۰۷. [۲۵] النور: ۳۶ ـ ۳۷. [۲۶] الكافى: ۶-۲۵۶ ـ ۲۵۷. [۲۷] الاَحزاب: ۳۲. [۲۸] الاَحزاب: ۳۳. [۲۹] الاَحزاب: ۳۴. [۳۰] جامع الاَحكام: ۱۴-۱۸۲. [۳۱] واجمال الحديث وابهامه يرتفع بالرجوع إلى سائر ما روى عن اُم سلمة فى ذلك المضمار. [۳۲] لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات تفسير الطبرى: ۲۲- ۵ ـ ۷، والدر المنثور: ۵-۱۹۸ ـ ۱۹۹. [۳۳] آل عمران: ۶۱. [۳۴] راجع للوقوف على هذه المأثورات جامع الاُصول لابن الاَثير: ۱۰- ۱۰۰ ـ ۱۰۳، وصحيح مسلم: ۷-۱۲۲ ـ ۱۲۳. [۳۵] حُقّق تحقيقاً أنيقاً ونشر من قبل مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) فى عام ۱۴۱۲ هـ [۳۶] سيوافيك مصدره. [۳۷] تفسير الطبرى: ۲۲-۷ و ۸؛ والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى: ۵-۱۹۸؛ وأسباب النزول للواحدى: ۲۰۴. [۳۸] شواهد التنزيل: ۲-۳۰. [۳۹] تنزيل الآيات: ۲۴ «مخطوط» منه نسخة فى جامعة طهران. لاحظ إحقاق الحق: ۱۴-۵۳. [۴۰] آية التطهير فى حديث الفريقين. [۴۱] هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنيفة رأس الفرقة النجدية، انفرد عن سائر الخوارج بآرائه. [۴۲] هم فرقة من الخوارج أتباع زياد بن الاَصفر. [۴۳] هم أتباع عبد اللّه بن أباض، رأس الاَباضية. [۴۴] فرقة من الصفرية أصحاب أبى بيهس هيصم بن جابر الضبغى رأس الفرقة البيهسية من الخوارج. [۴۵] لاحظ سير أعلام النبلاء للذهبى: ۵-۱۸ ـ ۲۲. [۴۶] ميزان الاعتدال: ۳-۹۳ ـ ۹۷. [۴۷] شرح النهج لابن أبى الحديد: ۴-۱۰۲؛ وراجع سير أعلام النبلاء: ۴-۴۲۱ ـ ۴۳۷ ما يدل على كونه من بغاة الدنيا وطالبيها، وقد بنى قصراً فى العقيق وأنشد شعراً فى مدحه، وكان مقرباً لدى الاَمويين خصوصاً عبد الملك بن مروان. [۴۸] التعطيل: هو انّ لا ـ تثبت للّه الصفات التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله (صلى الله عليه و آله وسلم) والتشبيه:أن يُشبَه اللّه سبحانه وتعالى بأحد من خلقه. [۴۹] سير أعلام النبلاء: ۷-۲۰۲. [۵۰] ميزان الاعتدال: ۴-۱۷۲ ـ ۱۷۵. [۵۱] نقل السيوطى عن ابن الحصّار: إنّ ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنّما كان بالوحى كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا. لاحظ الإتقان: ۱-۱۹۴، الفصل الثامن عشر فى جمع القرآن وترتيبه من طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. [۵۲] لاحظ: ۳۸۹ ـ ۴۰۲ من هذا الجزء. [۵۳] مجمع البيان: ۴-۳۵۷. [۵۴] تفسير المنار: ۲-۴۵۱. [۵۵] الكاشف: ۶-۲۱۷. [۵۶] يوسف: ۲۸ ـ ۲۹. [۵۷] النور: ۲۶. [۵۸] إحقاق الحق: ۲-۵۷۰. [۵۹] دلائل الصدق: ۲-۷۲. [۶۰] الاَحزاب: ۳۳. [۶۱] الاَحزاب: ۳۴. [۶۲] الميزان: ۱۶-۳۳۰. [۶۳] سورة المائدة: ۳. [۶۴] سورة المائدة: ۳. [۶۵] سورة المائدة: ۳. [۶۶] المائدة: ۵۵. [۶۷] المراجعات:المراجعة: ۴۲ ص ۱۶۶. [۶۸] لاحظ فى الوقوف على هذه الاَقوال تفسير الطبرى: ۲۲-۵ ـ ۷؛ وتفسير القرطبى: ۱۴-۱۸۲؛ ومفاتيح الغيب للرازى: ۶-۶۱۵؛ والكشاف: ۲-۵۳۸؛ وغيرها. [۶۹] هود: ۷۳. [۷۰] القصص: ۱۲. [۷۱] الخلاف: ۲-۲۲۷، المسألة ۴ كتاب الوقوف والصدقات. [۷۲] لاحظ ص ۳۹۸، الحديث ۳۵. [۷۳] مفاتيح الغيب: ۶-۶۱۵. [۷۴] أنوار التنزيل: ۴-۱۶۲. [۷۵] تفسير المراغى: ۲۲-۷. [۷۶] السيرة النبوية: ۲-۴۰۱. [۷۷] النحل: ۴۴. [۷۸] الغدير: ۲-۱۱۵. [۷۹] الغدير: ۲-۱۹۱. [۸۰] الغدير: ۲-۲۹۰ ـ ۳۲۶. [۸۱] الغدير: ۲-۳۰۳. [۸۲] الغدير: ۲-۳۱۰ ـ ۳۱۱، نقلاً عن الفصول: ۱۳. [۸۳] الغدير: ۲-۳۱۱، نقلاً عن نور الاَبصار: ۱۳. [۸۴] الغدير: ۲-۳۱۷. [۸۵] الغدير: ۲-۳۸۱ ـ ۳۸۲. [۸۶] الغدير: ۲-۳۸۱ ـ ۳۸۲. [۸۷] الغدير: ۳-۶۶. [۸۸] الغدير: ۳-۱۷۳. [۸۹] الغدير: ۳-۲۳۳. [۹۰] الغدير: ۳-۳۹۱. [۹۱] الغدير: ۳-۳۹۶. [۹۲] الغدير: ۴-۲۵. [۹۳] الغدير: ۴-۳۵. [۹۴] الغدير: ۴-۳۸. [۹۵] الغدير: ۴-۶۰. [۹۶] الغدير: ۴-۸۹. [۹۷] الغدير: ۴-۳. [۹۸] الغدير: ۴-۱۷. [۹۹] الغدير: ۴-۲۲۲ و ۲۲۵. [۱۰۰] الغدير: ۴-۲۲۷. [۱۰۱] الغدير: ۴-۲۲۷ ـ ۲۲۸. [۱۰۲] الإتحاف بحب الاَشرف: ۹۹. [۱۰۳] الإتحاف بحب الاَشراف: ۱۰۰ و ۱۰۱. [۱۰۴] الإتحاف بحب الاَشراف: ۱۰۰ و ۱۰۱. [۱۰۵] الإتحاف بحب الاَشرف: ۱۰۶ ـ ۱۰۹. [۱۰۶] الاَنعام: ۹۰. [۱۰۷] معجم مقاييس اللغة: ۲-۴۹۰. [۱۰۸] لسان العرب: ۶-۹۴ ـ ۹۵، مادة «رجس». [۱۰۹] المائدة: ۹۰. [۱۱۰] الاَنعام: ۱۴۵. [۱۱۱] الاَنعام: ۱۲۵. [۱۱۲] آل عمران: ۴۲. [۱۱۳] التوبة: ۱۰۸. [۱۱۴] التوبة: ۱۲۵. [۱۱۵] الاَنعام: ۱۲۵. [۱۱۶] الميزان: ۱۶-۳۳۰. [۱۱۷] يس: ۸۲. [۱۱۸] المائدة: ۶. [۱۱۹] مجمع البيان: ۴-۳۵۷ تفسير سورة الاَحزاب؛ وقريب منه ما أفاده الشيخ الطوسى فى تبيانه: ۸-۳۴۰. [۱۲۰] رياض السالكين: ۴۹۷، الروضة السابعة والاَربعون، وقد نقلنا عن الطبرسى ما يقرب منه. [۱۲۱] القصص: ۵.

[۱۲۲] الأنفال: ۷. [۱۲۳] المائدة: ۴۱. [۱۲۴] يس: ۸۲. [۱۲۵] الأنعام: ۳۵. [۱۲۶] الحشر: ۵. [۱۲۷] فى ظلال القرآن، فى تفسير سورة الأحزاب. [۱۲۸] الأحزاب: ۳۳. [۱۲۹] الصراط المستقيم: ۱-۱۸۴. [۱۳۰] النساء: ۲۶. [۱۳۱] النساء: ۲۷. [۱۳۲] النساء: ۲۸. [۱۳۳] النساء: ۲۶. [۱۳۴] مريم:۹۶. [۱۳۵] المناقب لابن شهر آشوب: ۳ - ۳۸۳؛ سفينة البحار: مادة حبب: ۱ - ۴۹۲. [۱۳۶] سنن الترمذى: ۵ - ۶۳۵ برقم ۳۷۱۷؛ حلية الأولياء: ۶ - ۲۹۵. [۱۳۷] أسنى المطالب: ۵۴، تحقيق محمد هادى الأمينى. [۱۳۸] بحار الأنوار: ۴۵-۱۳۸. [۱۳۹] تفسير الفخر الرازى:۳۲-۱۲۴. [۱۴۰] تفسير الفخر الرازى: ۳۲ - ۱۲۴. [۱۴۱] سفينة البحار: ۱ - ۴۹۶، مادة حبب. [۱۴۲] غافر: ۶۰. [۱۴۳] آل عمران: ۶۵. [۱۴۴] المنافقون: ۵. [۱۴۵] يوسف: ۹۷. [۱۴۶] آل عمران: ۵۹. [۱۴۷] الزمخشرى: الكشاف: ۱-۳۲۶ـ ۳۲۷، ط عام ۱۳۶۷هـ [۱۴۸] العمدة: ۲۴۳. [۱۴۹] صحيح مسلم: ۷-۱۲۰، باب فضائل على بن أبى طالب (عليه السلام). [۱۵۰] إشارة إلى ما روى انّ الرضا باب اللّه الأعظم. [۱۵۱] شرح منظومة السبزوارى:۳۵۲. [۱۵۲] نهج البلاغة:الخطبة ۳. [۱۵۳] البقرة: ۲۰۷. [۱۵۴] شواهد التنزيل: ۱-۱۳۰؛ أُسد الغابة:۴-۲۵. [۱۵۵] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواصّ: ۲۵، ط عام ۱۴۰۱هـ [۱۵۶] الغدير:۲-۴۸. [۱۵۷] لاحظ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد:۴-۷۳. [۱۵۸] الحشر:۹. [۱۵۹] البقرة: ۲۷۰. [۱۶۰] الحجّ: ۲۹. [۱۶۱] النور: ۳۷. [۱۶۲] الرعد: ۲۱. [۱۶۳] الإنسان: ۷ ـ ۱۰. [۱۶۴] الكشاف: ۳-۲۹۷؛ تفسير الفخر الرازى: ۳۰-۲۴۴. [۱۶۵] الدر المنثور:۸-۳۷۱، تفسير سورة الإنسان. [۱۶۶] ابن البطريق: العمدة: ۲-۴۰۷ـ ۴۱۰. [۱۶۷] شواهد التنزيل للحافظ الحاكم الحسكانى:۲-۴۰۵ ـ ۴۰۸؛ أُسد الغابة: ۵-۵۳۰؛ مناقب ابن المغازلى:۲۷۲. [۱۶۸] البقرة: ۱۷۷. [۱۶۹] البيّنة: ۷. [۱۷۰] تفسير الطبرى:۳۰-۱۴۶. [۱۷۱] المناقب للخوارزمى: ۶۶. [۱۷۲] المناقب للخوارزمى:۱۷۸. [۱۷۳] الفصول: ۱۲۲. [۱۷۴] فاطر: ۳۱ ـ ۳۲. [۱۷۵] النمل: ۵۹. [۱۷۶] البرهان فى تفسير القرآن: ۳-۳۶۳. [۱۷۷] صحيح مسلم:۴-۱۸۷۳ برقم ۲۴۰۸، ط عبد الباقى. [۱۷۸] مسند أحمد:۱-۱۱۸. [۱۷۹] جامع أحاديث الشيعة:۱-۱۳۱ـ ۱۳۲. [۱۸۰] المراجعات: المراجعة رقم ۸. [۱۸۱] التوبة: ۱۰۳. [۱۸۲] المغنى: ۲-۵۴۷. [۱۸۳] بلوغ المرام: ۱۲۹، برقم ۶۶۵. [۱۸۴] بلوغ المرام: ۱۲۹، برقم ۶۶۵. [۱۸۵] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۸۶] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۸۷] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۸۸] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۸۹] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۹۰] التاج الجامع للأُصول: ۲-۳۰ـ ۳۱، ط الثانية. [۱۹۱] المائدة: ۵۵. [۱۹۲] تفسير الطبرى:۶-۱۸۶. [۱۹۳] أحكام القرآن:۲-۵۴۲. [۱۹۴] معرفة أُصول الحديث:۱۰۲. [۱۹۵] أسباب النزول: ۱۱۳. [۱۹۶] الكشاف:۱- ۴۶۸. [۱۹۷] الأحزاب: ۶. [۱۹۸] التوبة: ۷۱. [۱۹۹] المائدة: ۵۶. [۲۰۰] النساء: ۵۹. [۲۰۱] الأحزاب: ۳۶. [۲۰۲] النساء: ۱۰۵. [۲۰۳] النور: ۶۳. [۲۰۴] مناقب الخوارزمى:۱۷۸؛ كفاية الطالب للكنجى:۲۰۰؛ تذكرة ابن الجوزى:۲۵. [۲۰۵] الصّافات: ۲۴. [۲۰۶] شواهد التنزيل للحسكانى:۲-۱۰۶. [۲۰۷] الصواعق المحرقة:۱۴۹. [۲۰۸] مضى الأوّل: ۲۴۵. [۲۰۹] المائدة: ۳. [۲۱۰] راجع مفاهيم القرآن: الجزء العاشر. [۲۱۱] النساء: ۵۹. [۲۱۲] مجمع البيان:۳-۱۰۰. [۲۱۳] التفسير الكبير: ۱-۱۱۴. [۲۱۴] العنكبوت: ۸. [۲۱۵] الميزان:۴-۳۹۱. [۲۱۶] الحاكم:المستدرك: ۳-۱۵۱ أخرجه مسنداً إلى أبى ذر. [۲۱۷] المناقب لابن شهراشوب: ۱- ۱۵٪، ط المطبعة العلميّة. [۲۱۸] البرهان فى تفسير القرآن: ۱-۳۸۱. [۲۱۹] الشورى: ۱۰۹. [۲۲۰] الشعراء:۱۰۹، ۱۲۷، ۱۴۵، ۱۶۴، ۱۸۰. [۲۲۱] الشعراء:۱۰۹، ۱۲۷، ۱۴۵، ۱۶۴، ۱۸۰. [۲۲۲] الشعراء:۱۰۹، ۱۲۷، ۱۴۵، ۱۶۴، ۱۸۰. [۲۲۳] الشعراء:۱۰۹، ۱۲۷، ۱۴۵، ۱۶۴، ۱۸۰. [۲۲۴] الشعراء:۱۰۹، ۱۲۷، ۱۴۵، ۱۶۴، ۱۸۰. [۲۲۵] هود:۲۹. [۲۲۶] هود: ۵۱. [۲۲۷] الأنعام: ۹۰. [۲۲۸] الشورى: ۲۳. [۲۲۹] الأنعام: ۹۰. [۲۳۰] سبأ: ۴۷. [۲۳۱] الفرقان: ۵۷. [۲۳۲] فصّلت: ۱ ـ ۵. [۲۳۳] السيرة النبوية:۱-۲۹۳ـ ۲۹۴. [۲۳۴] تصحيح الاعتقاد: ۶۸. [۲۳۵] سفينة البحار: مادة حبّب. [۲۳۶] أخرجه الحاكم فى مستدركه:۳-۱۴۸، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين. ولم يخرجاه، وأخرجه الذهبى فى تلخيص المستدرك معترفاً بصحته على شرط الشيخين قلت: هذا حديث متواتر وقد ألّف غير واحد من المحقّقين رسائل حوله. [۲۳۷] مريم: ۶۲. [۲۳۸] الحجر: ۳۰ ـ ۳۱. [۲۳۹] تصحيح الاعتقاد:۶۸. [۲۴۰] سبأ: ۴۷. [۲۴۱] الفرقان: ۵۷. [۲۴۲] الكشاف:۳-۸۱ فى تفسير الآية. [۲۴۳] البقرة: ۸۳. [۲۴۴] البقرة: ۱۷۷. [۲۴۵] التوبة: ۱۱۳. [۲۴۶] مضى السوال الأوّل: ۲۵۸. [۲۴۷] التوبة: ۱۱۳. [۲۴۸] الأنعام: ۱۵۲. [۲۴۹] الحشر: ۷. [۲۵۰] شرح ابن

أبى الحديد:۱۸-۴۱۶. [۲۵۱] انظر الكشاف: ۳-۸۱؛ تفسير الرازى: ۷-۶۵۵؛ تفسير أبى السعود فى هامش تفسير الرازى نفس الصفحة؛ تفسير أبى حيان: ۷-۵۱۶؛ تفسير النيسابورى:۶-۳۱۲.وأمّا من المحدّثين كمجمع الزوائد للهيتمى:۹-۱۶۸؛ الصواعق المحرقة:۱۰۱ ـ ۱۳۵، والزرقانى فى شرح المواهب:۷-۳و۹۲۱. [۲۵۲] تاريخ القرآن: ۵۷. [۲۵۳] المجادلة: ۲۲. [۲۵۴] مسند أحمد: ۴-۲۷۰. [۲۵۵] سفينة البحار: ۲-۱۱ مادة الحبّ. [۲۵۶] نهج البلاغة: قسم الرسائل: الرسالة ۵۳. [۲۵۷] تاريخ بغداد: ۴-۴۱۰. [۲۵۸] حلية الأولياء: ۱-۸۶. [۲۵۹] مسند أحمد:۵-۳۶۶؛ صحيح مسلم: ج كتاب الفتن: ۱۱۹. [۲۶۰] مسند أحمد:۱-۷۷. [۲۶۱] الكشاف:۳-۸۲، تفسير سورة الشورى، ط عام ۱۳۶۷. [۲۶۲] الكشاف:۳-۸۱. [۲۶۳] الأحزاب: ۵۶. [۲۶۴] صحيح البخارى: ۴-۱۴۶ ضمن باب «يزفُّون النَسَلان فى المشى» من كتاب بدء الخلق. [۲۶۵] صحيح البخارى: ۶-۱۵۱ تفسير سورة الأحزاب. [۲۶۶] صحيح مسلم: ۲-۱۶. [۲۶۷] صحيح البخارى: ۶-۱۵۱، تفسير سورة الأحزاب. [۲۶۸] المصدر السابق. [۲۶۹] صحيح مسلم: ۲-۴۶، باب الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد التشهد من كتاب الصلاة. [۲۷۰] الصواعق المحرقة: ۱۴۶، ط عام ۱۳۸۵هـ [۲۷۱] سنن الدارقطنى:۱-۳۵۵. [۲۷۲] تهذيب التهذيب:۲-۴۶. [۲۷۳] الصواعق المحرقة: ۲۳۴، ط الثانية، عام ۱۳۸۵هـ [۲۷۴] تفسير الفخر الرازى:۲۷-۱۶۶،تفسير سورة الشورى. [۲۷۵] تفسير النيسابورى: تفسير سورة الشورى. [۲۷۶] ذخائر العقبى:۱۹، ذكر الحث على الصلاة عليهم. [۲۷۷] صحيح صفة صلاة النبى: ۲۱۴. [۲۷۸] الصواعق المحرقة:۱۴۶، ط الثانية، عام ۱۳۸۵. [۲۷۹] الغدير: ۲-۳۰۳، ط طهران نقله عن تفسير الرزاى: ۷-۳۹۱ ولم نعثر عليه فى الطبعتين. [۲۸۰] الأنفال: ۴۱. [۲۸۱] الاعتصام بالكتاب والسنَّة:۹۱ـ ۱۰۵. [۲۸۲] الأنعام: ۱۵۲. [۲۸۳] الحشر: ۷. [۲۸۴] الروم: ۳۸. [۲۸۵] تفسير النيسابورى: ۱۰-۴، المطبوع بهامش الطبرى. [۲۸۶] تفسير الطبرى: ۱۰-۴؛ أحكام القرآن:۳-۶۰. [۲۸۷] الظاهر زيادة لفظ «خمس» بقرينة ما نقله ثانياً عن مجاهد. [۲۸۸] تفسيرالطبرى: ۱۰-۵. [۲۸۹] الوسائل: ۶-الباب۲۹ من أبواب المستحقّين للزَّكاة. [۲۹۰] الفقه على المذاهب الخمسة: ۱۸۸. [۲۹۱] الشرح الكبير على هامش المغنى: ۱۰-۴۹۳ـ ۴۹۴. [۲۹۲] الكشاف: ۲-۱۲۶. [۲۹۳] صحيح البخارى: ۳-۳۶ باب غزوة خيبر. [۲۹۴] صحيح مسلم: ۲-۱۰۵، كتاب الجهاد و ۱۶۷ السير، باب النساء الغازيات. [۲۹۵] الحشر: ۶. [۲۹۶] الحشر: ۷. [۲۹۷] التبيان:۹-۵۶۴. [۲۹۸] الأنفال: ۱. [۲۹۹] وعلى هذا يكون الفيء قسماً من الأنفال. [۳۰۰] وسائل الشيعة: ۶، الباب الأوّل من أبواب الأنفال، الحديث ۱، ۴، ۲۰. [۳۰۱] وسائل الشيعة: ۶، الباب الأوّل من أبواب الأنفال، الحديث ۱، ۴، ۲۰. [۳۰۲] المهذب فى فقه الإمام الشافعى: ۲-۲۴۳. [۳۰۳] النور: ۳۶ ـ ۳۷. [۳۰۴] الكشاف:۲-۳۸۹. [۳۰۵] الزخرف: ۳۳. [۳۰۶] البقرة: ۱۲۵. [۳۰۷] الأحزاب: ۳۴. [۳۰۸] البرهان فى تفسير القرآن:۳-۱۳۸. [۳۰۹] آل عمران: ۳۳ ـ ۳۴. [۳۱۰] الخصال: ۱ - ۱۰۷. [۳۱۱] البقرة: ۱۲۷. [۳۱۲] النازعات: ۲۸. [۳۱۳] تفسيرالفخرالرازى:۲۴-۳. [۳۱۴] تفسير الدر المنثور:۵-۵۰. [۳۱۵] البرهان فى تفسير القرآن: ۳ / ۱۳۹. [۳۱۶] نهج البلاغة: الخطبة ۲۲۲. [۳۱۷] نهج البلاغة: الخطبة ۱۴۷. [۳۱۸] نهج البلاغة: الخطبة ۲. [۳۱۹] نهج البلاغة: الخطبة۱۵۴. [۳۲۰] نهج البلاغة: الخطبة ۱۰۰. [۳۲۱] نهج البلاغة: الخطبة۱۰۵. [۳۲۲] نهج البلاغة: الخطبة۸۷.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" "للتحرّى الحاسوبىّ –

بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايةِ سماحةِ آيةِ الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحةِ الشيعةِ و تبسيط ثَقافةِ الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹